

الْأَخْلَامُ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّجَرَاءِ



قَالَ الْجَنُّ الْحَمِي

عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ غَبَانٍ

عِصْرُهُ وَحَيَاتُهُ وَفُسُوحُ الشُّعْرِ

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

إِعْدَادُ
حَسَنِ جَعْفَرِ نَوْرِ الدِّينِ
تَأْجِيتُهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الاعلام من الادباء والشعراء

دايتُ الجنِّ المحمّديّ

عبد السلام بن رغبان
عصره وحياته وفنونه الشعريّة

إعداد

حسن جعفر نور الدين
ماجستير في اللغة العربيّة وآدابها

دار الكتب العلميّة

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

طلب من: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان
مرت: ١١/٩٤٢٤ تلخس : ٤١٢٤٥ Le : Nasher
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذه دراسة شاملة حول عبد السلام بن رغبان أو ديك الجن الحمصي الشاعر العباسي المشهور، وهو باعتراف معظم من كتبوا عنه شاعر مجيد، بلغ صيته الآفاق، رغم أنه لم يخرج مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد بل أثر البقاء في مسقط رأسه حمص لا يبرحها إلا إلى سلمية لمدح الهاشميين الجليلين أحمد بن علي وشقيقه جعفر.

ولقد ضاع معظم شعر ديك الجن، فحرمنا بذلك من ثروة كان يمكن أن تكشف عن مزايا أخرى في شخصية وشعر عبد السلام، حتى أننا نكاد لا نعثر في ديوانه على قصيدة طويلة كما عند سائر الشعراء.

فمعظم أجزاء الديوان مقطوعات صغيرة كثير منها يتألف من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة أبيات، وهذا ما يدفعنا إلى الموافقة على أن جزءاً كبيراً من نتاج الشاعر قد ضاع.

ولقد تصديت بعون الله لدراسة ديك الجن، فتحدثت

عن عصره وحياته وبيئته وسيرته الأدبية، ثم درست فنونه الشعرية بشيء من التفصيل متوخياً بذلك الكشف عن شاعر ملهم ظلم نفسه وظلمه الناس.

ولا ريب في أن عبقرية الشعرية تفتقت عن معانٍ جميلة جليلة، وأن جريمته التي ارتكبها كانت الحد الفاصل بين شريطي حياته، حياة الاستقرار والبهجة وحياة البؤس واليأس والندم والأحزان، وقد خلقت منه شاعراً مغلقاً، إذ رُبَّ سيئة جلبت حسنة.

وفي هذه الدراسة القصيرة لا أدعي أنني أحطت بكل شخصية الشاعر، الأدبية والذاتية فالكمال لله وحده وهو نعم المولى ونعم النصير.

العصر والبيئة

١. عصر الشاعر:

ولد ديك الجن الحمصي وعمر الدولة العباسية ثلاثون عاماً فقط، وكانت حمص مسقط رأسه جزءاً من بلاد الشام التي ظلت مدى حياته تحت مظلة الحكم العباسي. وقد وصل العباسيون إلى الحكم سنة ١٣٢ هـ، موهمين أنهم أحق الناس به، وأنهم ظل الله على الأرض، لذلك أحاطوا أنفسهم بهالة من التقديس، ويتمثل ذلك في أول خطبة لأبي العباس السفاح يوم بويع بالخلافة في مسجد الكوفة سنة ١٣٢ هـ، وفي خطبة لأبي جعفر المنصور يوم عرفة: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه وخازنه على فيئه، ومعنى ذلك أن الخليفة أصبح السلطة الفعلية والمطلقة في مطلع ذلك العصر.

وكان أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي، تعقب الأمويين حتى كاد يقضي عليهم ويقطع أثرهم من الوجود، وطفق الشعراء ينشدونه القصائد ويحرضونه على ما تبقى من السلالة الأموية، وظل هاجس السلطة سبباً رئيسياً في معظم الصراعات التي نشبت على امتداد تاريخ الدولة العباسية، فقد

غدر السفاح بأبي سلمة الخلال وزير آل محمد، أول وزير في الدولة الجديدة، لما عرف عنه من ميل للعلويين، ومحاولته نقل الخلافة إليهم، ولم يكذب يتولى أبو جعفر المنصور سنة ١٣٦ هـ حتى يشور بوجهه في الشام عمه عبد الله بن علي، فيقضي المنصور على هذه الثورة بجيش لجب قاده أبو مسلم الخراساني، ويعطي المنصور لعمه الأمان في أن لا يمسّه بسوء ولا يتعرض له بأذى، إلا أنه تنكر لهذا العهد وقتل كاتبه عبد الله بن المقفع متهماً إياه بالزندقة، وما فتىء بمكر بعمه حتى قبض عليه وأودعه السجن حتى مات فيه، ثم يغدر بابن عمه عيسى بن موسى ويلزمه التخلي عن ولاية العهد لابنه المهدي، وأخيراً وليس آخراً فإنه احتال على أبي مسلم الخراساني إذ أخذ يحسن له القدوم إليه ويظهر له الحب والمودة والإكرام ويذكره بعظيم بلائه في سبيل قيام الدولة الجديدة إلى أن استقدمه إلى بلاطه وقتله سنة ١٣٧ هـ. ولما تولى المهدي سنة ١٥٨ هـ أكد ما فعله أبوه من خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ولما احتج عيسى هده وتوعده حتى استجاب وأشهد عليه بالخلع وبإيع مكانه لولديه الهادي فالرشيد، وقد رمى في السجن وزيره يعقوب بن داود لأنه أطلق علوياً أمره بقتله، وكان للوشاة دور كبير في تأليب الخليفة عليه.

ولما تولى الهادي سنة ١٦٩ هـ حاول منع أمه الخيزران

من التماذي في التدخل بشؤون الخلافة، حتى انه حاول أن يقتلها بالسّم ففطنت لذلك، وأوعزت إلى جواريتها فقتلته، خاصة بعد أن رغب في خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد والبيعة لابنه جعفر، وكانت خيزران تحب الرشيد كثيراً وتفضله على غيره.

وتولى الرشيد الخلافة سنة ١٧٠ هـ، وما لبث أن عقد ولاية العهد لأولاده تبعاً، فعقد أولاً لمحمد ولقبه بالأمين سنة ١٧٣ هـ وضم إليه مصر والشام، ثم عقد لابنه عبد الله وسماه المأمون سنة ١٨٣ هـ وضم إليه الولايات الشرقية، ثم لابنه القاسم سنة ١٨٦ هـ وسماه المؤتمن وضم إليه الجزيرة والثغور، وكان هذا الصنيع نذير شؤم وبلاء على مستقبل الدولة العباسية برمتها، ونكب الرشيد البرامكة ونكل بهم سنة ١٨٧ هـ بعد أن كانوا وزراء أبيه ووزراء وساعده الفتى وركن دولته وأصحاب الفضل عليه، إذ حفظوا له الخلافة بعد أن حاول الهادي تحويلها عنه لابنه جعفر، فنصحه يحيى بن خالد البرمكي بإبقائها للرشيد حفاظاً على وحدة البيت العباسي.

لقد قتل الرشيد البرامكة لأنه خاف على نفسه منهم، بعدما اجتذبوا نظر الناس إليهم لكرمهم وحسن تدبيرهم، وثانياً لأنهم أنقذوا علويّاً كان الرشيد قد أمر بتصفيته، وأخيراً استجابة لحاسدهم الفضل بن الربيع.

ولم يكد الرشيد ينتقل إلى جوارربه حتى شجر الخلاف

بين الأمين والمأمون، إذ أخذ الفضل بن الربيع وزير الأمين يحسن له ويشجعه على خلع أخيه المأمون، ولاقت الفكرة قبولاً في نفس الأمين، فشرع في خدع أخيه باستدعائه إلى بغداد، وترددت المراسلات بينهما حتى كاد المأمون أن يتنازل ويبيع لموسى بن الأمين، إلا أن وزيره الفضل بن سهل منعه من ذلك وضمن له الخلافة وجعلها عهداً في عنقه، وما لبثت العداوة أن اشتدت بين الأخوين ونشبت الحروب الطاحنة فدمرت بغداد وأزيلت معالمها، وكان النصر في النهاية للمأمون فخلص الأمر له بعد أن قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ، وهذا يعني غلبة الطابع الفارسي السياسي والإداري على الطابع العربي، إذا كانت أم الأمين عربية وأم المأمون فارسية، لذلك بلغ النفوذ الفارسي أشده آنذاك، رغم أن المأمون حاول الحد منه بقتله الفضل بن سهل، وكان المأمون منذ قتل أخوه يفكر بأمر ولاية العهد حتى أقدم سنة ٢٠١ هـ على خلع أخيه القاسم وتعيين علي بن موسى الرضا الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية، وكان لهذا العمل ردة فعل عنيفة لدى العباسيين في العراق، فعزلوا المأمون وعينوا مكانه عمه إبراهيم بن المهدي، ويموت الإمام الرضا فجأة بعنب مسموم، وتختلف الروايات حول قاتله، وسواء أكان المأمون وراء ذلك أم سواه ممن لم يرق لهم ما فعله الخليفة، فإن استشهاد الإمام الرضا وضع حداً لغضب العباسيين عليه، فدخل بغداد وتعقب عمه إبراهيم بن المهدي

حتى قبض عليه ثم عفا عنه، ويجول الشعر جولاته في أتون تلك الأحداث وينقسم الشعراء إلى فريقين .

وبموت المأمون وخلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ ينتهي النفوذ الفارسي، ليبدأ نفوذ آخر يختلف تماماً عن سابقه، فالفرس أصحاب حضارات وثقافات وكانوا في عهد من أشرنا إليهم من الخلفاء أصحاب شأن وسلطان ورجال دولة من الطراز الرفيع، فقد شاركوا في صنع قرارات الدولة بل كانوا من متجني معظمها، فعلا شأنهم وكبر مقامهم، أما الترك فكانوا بدواً عديمي الحضارة والرقى، ومعنى ذلك أن انقلاباً في الحياة العباسية لا بد أن يحصل ويطل الحقول والميادين كافة، فلما تولى المعتصم الخلافة سنة ٢١٨ هـ جعل الأتراك جند الخلافة وأكثر منهم وبنى لهم مدينة سامراء وجعلها عاصمة الدولة مكان بغداد، وولى أشناس زعيم الأتراك ولاية مصر وأطلق يده فيها، فجنى بذلك على نفسه وعلى غيره الكثير من المتاعب والهموم، ولما تولى الواثق بن المعتصم سنة ٢٢٧ هـ فاق والده في التقرب من الأتراك، إذولى أشناس من بغداد إلى أواخر المغرب العربي، واستخلفه على السلطة وألبسه وشاحين وتاجاً من جوهر، وولى إيتاخ التركي خراسان والسند وكور دجلة وأضاف له ب وفاة أشناس مرتبته ومعظم أعماله، ومما زاد من نفوذ الأتراك أن الواثق لم يتخذ من بعده ولياً للعهد فاستغلوا هذا الأمر عند وفاته سنة ٢٣٢ هـ وحملوا

رجال الدولة على البيعة للمتوكل، وهذا يعني أن تنصيب الخلفاء أضحى بيد الأتراك، وأن ما حصل نذير شؤم يحمل للمستقبل أسوأ العواقب. ولاحظ المتوكل منذ توليه خطورة ازدياد النفوذ التركي، فقد أصبحوا عبئاً على الدولة ومصدر فتن واضطرابات، فهم يكرهون العرب والفرس، ثم إنهم ليسوا في وفاق مع بعضهم البعض، فهم لا ينقطعون عن الدسائس والمؤامرات، لذلك تخلص المتوكل من إيتاخ وكان قد صار إليه كل أمر، ونصب مكانه قائداً تركيا آخر يدعى وصيفاً محاولاً بذلك بذر الشقاق في ما بينهم، إلا أن المتوكل زاد ضيقه من الترك فهرب منهم إلى دمشق واتخذها مقراً لخلافته دون سامراء وذلك سنة ٢٤٤ هـ، إلا أن الترك هددوه وأعادوه إلى مكانه السابق بعد غياب دام شهرين.

وتعاود فكرة الابتعاد عن الترك المتوكل من جديد، فبني على مسافة من سامراء قصوراً له ولحاشيته وبطانته صرف عليها مئآت الملايين من الدنانير وضم إلى وزيره الفتح بن خاقان اثني عشر ألفاً من الجنود العرب محاولاً إعادة نفوذهم من جديد، ليكبح بهم جماح الأتراك الذين تناهى إليهم كل أمر، وعلموا أن المتوكل يهيم للفتك بهم، فصمموا على قتله قبل أن ينفذ فيهم مخططاته، وتعاونوا في ذلك مع ابنه المنتصر الذي كان يسخط على والده بسبب انحرافه ومجونه وسياسته الظالمة، ولأنه أراد تقديم ابنه المعتز عليه في ولاية العهد،

وكان يتهدده ويشتمه ويحط من منزلته في مجالسه العامة مما حدا بالمنتصر إلى الدخول عليه مع الأتراك في شوال سنة ٢٤٧ هـ وقتلوه مع وزيره ابن خاقان. وقوي بهذه الحادثة نفوذ الأتراك كثيراً، وصار الخليفة في أيديهم كالدمية، تكفيه من الخلافة السكة والخطبة.

ولقد نشبت في هذا العصر نزاعات سياسية وفكرية ومذهبية واجتماعية، والتحم الصدام العسكري والشعري أيضاً بين سلطة الخلافة العباسية وسائر القوى المعارضة آنذاك. فانفض العلويون وقاموا بثورات كثيرة وهددوا أكثر من مرة نظام الحكم القائم وكادوا يجهزون عليه. كذلك ثار الخوارج علماً أن حركاتهم ضعفت كثيراً عما كانت عليه خلال عصر بني أمية، ورغم ذلك استطاعوا أن يربكوا السلطة العباسية، ويقلقوها في أكثر من مكان.

أما العلويون، فقد ودعوا العصر الأموي بثورة زيد بن علي وابنه يحيى، ومن ثم كان لهم دور فعال وحاسم في نجاح الثورة العباسية الكبرى سنة ١٣٢ هـ. ولقد ظنوا بادئ الأمر أن هذه الثورة ستحملهم إلى الحكم كونها قامت أساساً بالدعوة للرضا من آل محمد، إلا أن الظروف شاءت أن يجني العباسيون ثماراً زرع بذورها العلويون، فارتقوا سدة الخلافة متجاهلين شركاءهم الفاعلين والأساسيين في الثورة، ولذلك استأنف العلويون نشاطهم السياسي والفكري والعسكري بعد

توقف قصير لم تستطع معه الدولة الجديدة أن تلتقط أنفاسها، ولعل الصراع الديني والأيدولوجي نشأ فور تولي السفاح منصب الخلافة عندما ألقى أول خطبة له من على منبر الكوفة، ثم اتسع نطاقه عبر الرسائل المتبادلة بين الخليفة المنصور وصاحب النفس الزكية، إذ انبرى كل منهما يبين حقه بالخلافة ويورد أدلة يراها كافية لتأكيد شرعية موقفه ورأيه، وغاص الشعراء في خضم هذا الصراع وانقسموا فريقين، والتحموا في معركة شعرية لم يخمد أوارها مدة العصر العباسي، وقد أذكت قصائد الشعراء نار الحرب العسكرية وأضرمتها، إذ لم يجد العلويون إلا السيف وسيلة عملية لتحقيق غايتهم، فلم يكد السفاح يموت ويتولى الخلافة أبو جعفر المنصور حتى خرج بالمدينة محمد بن الحسن صاحب النفس الزكية، وكان يرى أنه أحق بالخلافة من غيره، لأن بني هاشم كانوا قد انتخبوه في نهاية العصر الأموي، وممن بايعه آنذاك المنصور نفسه، ولم تستطع الرسائل المتبادلة بينهما أن تضيق شقة الخلاف لأنه كان عميقاً يستحيل رأيه، فأقدم صاحب النفس الزكية على الثورة العسكرية مدعوماً بتأييد الناس والتفافهم حوله خاصة بعد فتوى أبي حنيفة لهم بجواز الخروج على المنصور والتحرر من بيعتهم له، فاستولى على المدينة المنورة ومكة المكرمة سنة ١٤٥ هـ، إلا أن المنصور واجهه بجيش ضخم وأناط قيادته بابن عمه عيسى بن موسى، ودارت معارك طاحنة بين الفريقين

قتل فيها صاحب النفس الزكية وحمل رأسه إلى المنصور وطيف به في الكوفة وسُير في الآفاق، وما لبث أولاده وإخوته أن تفرقوا في الأمصار يدعون إلى إمامته، فتوجه ابنه علي إلى مصر وقتل فيها وسار ابنه عبد الله إلى خراسان ثم هرب إلى بلاد السند عندما جد أعداؤه في طلبه إلى أن تمكنوا منه هناك، ويمم ابنه الحسن وجهه إلى اليمن فسجن وبقي في سجنه حتى مات، أما أخوه موسى فقد مضى إلى الجزيرة وأخوه يحيى إلى الري فطبرستان، وسار أخوه إدريس إلى المغرب فأخذ يدعو الناس فأجابه خلق كثير، وقد استطاع المنصور أن يغتاله بالسم بواسطة أحد أعوانه، أما أخوه إبراهيم فقد مضى إلى البصرة وأظهر فيها أمره، فأجابه أهل فارس والأهواز في عساكر كثيفة، وقد حشد له المنصور جيشاً كبيراً بقيادة عيسى بن موسى ودارت معارك عنيفة قتل خلالها إبراهيم في مكان يسمى باخمري قرب الكوفة وقتل معه ٤٠٠ رجل.

وفي زمن الرشيد ثار محمد بن جعفر بن يحيى بن أبي طالب وتوجه إلى مصر، ولما لاحقته السلطات فر إلى المغرب، فاجتمع إليه خلق كثير وأيدوه لما رأوا عليه من سمات الاستقامة والعدل، إلا أن الأمر لم يطل به فمات مسموماً.

وخرج في زمن الرشيد أيضاً يحيى بن عبد الله ومضى إلى بلاد الديلم فالتفوا حوله وأيدوه وبايعوه، ولما اشتد أمره أرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألف مقاتل،

عارضاً عليه بادیء الأمر الصلح ، فرضي يحيى شرط أن يكتب له الرشيد أماناً بخط يده ، فكتبه له . إلا أن الرشيد لم يكن وفيّاً لما تعهد به ، فنقض الأمان وغدر بيحيى فقبض عليه وسجنه وما لبث أن قتله بعد ذلك .

أما في خلافة المأمون فقد خرج محمد بن جعفر الصادق في مكة والحجاز وبويع له بالخلافة وسماء الناس أمير المؤمنين ، إلا أنه انهزم في معركة مع جيش السلطة العباسية ، وظفر به المأمون ثم عفا عنه .

ثم خرج سنة ١٩٩ هـ أبو السرايا بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمد بن إبراهيم بن أبي طالب وقويت شوكته واشتد أمره ، فتعقبه حماد الملقب بالكندغوش حتى ظفر به وسلمه إلى الحسن بن سهل الذي قتله ثم صلبه على الجسر ببغداد سنة ٢٠٠ هـ .

وخرج سنة ١٩٩ هـ محمد بن سليمان بن الحسن بن علي وتغلب على المدينة ، كما استولى على البصرة كل من علي بن محمد بن جعفر وزيد بن موسى بن جعفر ، وثار في اليمن سنة ٢٠٠ هـ إبراهيم بن موسى بن جعفر وفي المدينة ظهر الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين المعروف بابن الأفطس ودعا الناس إلى مبايعته والقول بإمامته .

وفي سنة ٢١٩ هـ فر من الكوفة محمد بن القاسم بن

علي بن أبي طالب واتجه إلى خراسان بعد أن نكل به المعتصم وأرهبه، وكان ابن القاسم على جانب كبير من الورع والزهد والعبادة، وانقاد إليه كثير من الناس في خراسان وبايعوه، وكانت له حروب مع جيوش المعتصم أسره فيها عبد الله بن طاهر وحمله إلى الخليفة بسامراء فسجنه واختفى منذ ذلك الحين أمره، وقد أقر بإمامته كثير من الزيدية.

ولما ولي المتوكل سنة ٢٣٢ هـ تفرق العلويون، إذ كان شديد الوطأة عليهم عظيم الكراهية لهم، وقد توج بغضه بهدم قبر الحسين بن علي في كربلاء وحرثه وزرعه.

وأول من ثار في عهد المتوكل محمد بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان شجاعاً شاعراً ظريفاً وقد خرج بسويقة سنة ٢٣٦ هـ وهي موضع قرب المدينة يسكنه آل الإمام علي، فأنفذ إليه المتوكل أبا الساج في جيش ضخم، فظفر به وبجماعة من أهله، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم ثم عمد إلى سويقة فعقر نخلها وخرّب منازلها وحمل محمد بن صالح إلى سامراء حيث سجن مدة من الزمن ثم أطلق سراحه وأقام بها إلى أن مات.

أما الخوارج فقد وقفوا من العباسيين موقف المعارضة الشديدة، فأنكروا حقهم بالخلافة ورأوا فيهم مغتصبين لسلطة لم يخولهم بها الشعب ثم إنهم برأيهم لم يستوفوا شرط العدالة

وهو من أهم الشروط اللازمة في الإمام . لذلك ألزموا أنفسهم بمحاربتهم والخروج عليهم ، ومع أن قوة الخوارج العسكرية تقلصت بالنظر إلى ما كانت عليه في عصر بني أمية ، إلا أنهم واجهوا العباسيين وحاربوهم بشجاعة وقسوة ، فقد خرجوا على حكم أبي العباس السفاح في عمان بقيادة الجلندي سنة ١٣٤ هـ ، وسرعان ما قضى خازم بن خزيمة على حركتهم وهزمهم وقتل قائدهم ، وبلغت ضحاياهم في هذه الحرب عشرة آلاف قتيل قطعت رؤوسهم وأرسلت إلى السفاح .

ولم يلبث الخوارج أن ثاروا بناحية الجزيرة سنة ١٣٧ هـ في عهد أبي جعفر المنصور ، بقيادة ملبد بن حرملة الشيباني ، وأوقفوا بجيش المنصور وقائده يزيد المهلي هزيمة منكرة ، وظلوا يهزمون كل قائد يرسل به إليهم المنصور حتى وجه إليهم في نهاية المطاف خازم بن خزيمة في جيش تعداده ٦٠٠ ألف جندي فهزمهم وقتل قائدهم سنة ١٣٨ هـ ، كما أنهم ثاروا في المغرب فوجه إليهم المنصور عمر بن حفص فقتلوه واستولوا على القيروان ، فانبرى لهم يزيد بن حاتم ، وما زال يقاتلهم حتى قضى على ثورتهم بعد أكثر من ٣٧٥ وقعة بينه وبينهم .

وفي عهد المهدي ، خرج جماعة منهم بخراسان بزعامة يوسف بن إبراهيم منكراً على المهدي سيرته ، فانضم إليه خلق كثير ، إلا أن يزيد بن مزيد الشيباني سرعان ما قضى على هذه

الثورة وأسر قائدها وبعثه إلى الخليفة مع وجوه أصحابه فقتلهم
وصلبهم سنة ١٦٠ هـ.

وخرج بالجزيرة أيام المهدي سنة ١٦٢ هـ عبد السلام
الخارجي، فاشتدت شوكته وكثر أتباعه، إلى أن قضى على
حركته عيسى بن موسى وقتله في عدة ممن معه. وفي سنة
١٦٨ هـ خرج بالموصل ياسين التميمي والتحم مع جنود
السلطة فهزمهم إلى أن وجه إليه المهدي بعض القادة فقتلوه مع
بعض أصحابه، وانهزم الباقون. أما في عهد الرشيد فقد خرج
الصحيح الخارجي بالجزيرة سنة ١٧١ هـ وهزم عسكر
أبي هريرة والي الجزيرة للعباسيين، فسير إليه الخليفة جيشاً
قضى على حركته وقتله بدورين.

وتتابع ثورات الخوارج ولا تكاد تنقضي سنة إلا
وينتفرون فيها ضد السلطة، فمن حصين الخارجي بخراسان
سنة ١٧٥ هـ إلى الفضل الخارجي سنة ١٧٦ هـ بنواحي
نصيبين وكلاهما لقي مصرعه في نهاية الأمر بعد أن أبليا كثيراً
وهزما في فترات جيوش السلطة.

وفي سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن طريف بالجزيرة،
ففتك إبراهيم بن خازم، ثم قويت شوكته فدخل إلى أرمينية ثم
إلى أذربيجان فحلوان فأرض السواد ثم عبر إلى غربي نهر
دجلة وقصد مدينة بلد وعاث في أرض الجزيرة فسير إليه
الرشيد يزيد الشيباني ففرض على ثورته وقتله بعد معارك عديدة

طاحنة ، وقد رثته أخته ليلى بنت طريف بقصيدة رقيقة هاجمت فيها قاتليه وأثنت على بلائه واستبسالة .

وفي سنة ١٩١ هـ ثار بناحية حولايا الخارجي ثروان بن سيف وتنقل في السواد فتعقبه طوق بن مالك وهزمه وجرحه وقتل جماعة من أصحابه ، إلا أن ثروان عاد فظهر من جديد بطف البصرة سنة ١٩٢ هـ وقاتل عامل الخليفة .

وظلت ثورات الخوارج مستمرة وعلى فترات حتى انقضاء الدولة العباسية ، وكانوا يطمحون إلى تأسيس دولة لهم أينما حلوا وأنى وجدوا الفرصة سانحة ومؤاتية ، فقد أشغلوا من دون شك سلطة الخلافة وأشعلوا في وجهها الثورات المتلاحقة وإن لم يكن بنفس الحماس والاندفاع الذي كانوا عليه في العصر الأموي . أما الثروة الشعرية فقد كانت ضحلة ، ويستحيل أن تمر ثورات من دون أن يكون لها شعراء كثيرون يغذون في أفرادها روح الثورة والتمرد ، ولكن لعل الزمن أضاع كثيراً مما نتخيل أن يكون قد وجد .

٢ - الحركة العلمية في عصر ديك الجن:

نهض التعليم في العصر العباسي الأول نهضة واسعة، عن طريق الكتاتيب التي كان يتناول الطلاب فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الأشعار والأمثال، كما كانوا يتعلمون السنن والفرائض والنحو والعروض، وكان للناشئة ألواح مصنوعة من الخشب يكتبون فيها دروسهم، وكان معلموهم يؤدّبونهم بالجلد والضرب والحبس، كما كانوا يتقاضون منهم أجوراً زهيدة لا تتجاوز أحياناً بعض أرغفة من الخبز.

وكان إلى جانب هؤلاء معلمون لأبناء الخاصة، منهم اللغوي والإخباري والفقيه والمحدث، وكانوا أحسن حالاً من معلمي أبناء العامة، فمن حظي منهم بتعليم أولاد الخلفاء والوزراء والقواد جنى ثروات طائلة، إذ كانت تفرض لهم رواتب كبيرة جعلتهم يعيشون في رغد وسعة وطمأنينة، ومنهم المفضل الضبي معلم المهدي، والكسائي معلم الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، والقراء معلم أبناء المأمون.

واشتهرت البصرة في هذا العصر بسوق باديتها المعروف بالمربد، وكان مُتندى للفصحاء من الأعراب والأدباء والشعراء يجتمعون فيه فيتحدثون وينشدون، كما استفاد شباب البصرة كثيراً فقوموا ألتستهم واكتسبوا اللغة العربية الأصيلة.

أما المساجد، فإنها لم تكن بيوتاً للعبادة فقط، بل كانت أيضاً معاهد للتعليم، يحاضر فيها أساتذة متخصصون، وكان لكل فرع من المعرفة حلقة الخاصة، وكانت حلقة الفقهاء من أكبر الحلقات كذلك حلقة المتكلمين، ولم يكن يشترط للحضور في الحلقات كلها أي شرط، وإنما كانت مباحة لأي كان، وقد نشأت عن هذه الحلقات ظاهرتان كبيرتان، الظاهرة الأولى تتمثل بكثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن، والثانية هي نشوء طائفة من العلماء والأدباء الموسوعيين، الذين نوعوا معارفهم ومضوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من ألوان المعرفة، وكان يطلق على هذه الطائفة في البصرة اسم المسجدين، وقد أغدق الخلفاء ووزراؤهم على أفرادها الأموال الطائلة، كما أنهم لم يحرموا من جوائزهم وعطاياهم الجزيلة طائفة العلماء المتخصصين، مما ساعد على ازدهار الحركة العلمية بالمساجد، كما كان لاستخدام الورق أثر كبير في النهضة العلمية الواسعة آنذاك، فانتسعت صناعة الورق، وأخذ الناس يتنافسون في اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، كما أن الدولة أقدمت على إقامة دار

الحكمة وهي مكتبة كبرى كانت منهالاً عظيماً لطلاب العلم والمعرفة .

ولم تكن الكتب والمساجد وحدها من أسباب ازدهار الحركة العلمية، فقد كان لمجالس الخلفاء والوزراء أثر بعيد في ذلك، إذ تحولت إلى ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف .

وبشكل عام فقد تغلغلت المعرفة والثقافة في جميع الأوساط حتى أوساط العامة، وبرزت نخبة من العلماء والأدباء قادت الحركتين العلمية والأدبية إلى الشاطئ الأمين .

العلوم اللغوية والتاريخ :

انبرى علماء البصرة والكوفة يجمعون ألفاظ اللغة العربية وأشعارها حتى لا تذوب في لغات الشعوب المستعربة وحتى تسلم لها مقوماتها الأصلية، وقد اشترطوا على أنفسهم ألا يأخذوا اللغة من عربي حضري بل وأن يرحلوا في طلبها إلى البادية ويتقدموا إلى باطن شبه الجزيرة حيث يتابعها الصافية، مبتغين من وراء ذلك تقويم ألسنتهم والتقاط مادتهم اللغوية الصحيحة .

وقد تعاقبت في هذا العصر ثلاثة أجيال من علماء البصرة والكوفة تجمع اللغة والشعر . وكان أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ في طليعة الجيل الأول في البصرة وفيه يقول

الجاحظ : كان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس ، كما اشتهر من الجيل الثاني خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠ هـ والأصمعي ٢١٣ هـ ، ويعتبر محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين أهم أفراد الجيل الثالث من لغوي البصرة .

وتصدر الجيل الأول من لغوي الكوفة حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وكان عالماً بالشعر ، غير أن رواياته كانت موضع شك لمجونه وفسقه ، ويعتبر أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢١٣ هـ أشهر أفراد الجيل الثاني في الكوفة ، ويقال إنه دخل البادية ومعه إناءان من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتابة سماعه عن العرب الفصحاء .

أما أبو عبيد القاسم بن سلام فهو أهم أفراد الجيل الثالث من لغوي الكوفة ، ويقال إن الناس لم يكتبوا في اللغة أصح من كتبه ولا أكثر فائدة .

وإذا انتقلنا إلى النحو وجدنا البصرة تسبق الكوفة إلى وضع قواعده ومصطلحاته ، وأول نحاة البصرة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ وعيسى بن عمر الثقفي سنة ١٤٩ هـ ، أما ابن أبي إسحق فيقال إنه أول من نهج النحو وشرح العلل ، وأما عيسى بن عمر فإنه أول من وضع الكتب في النحو إذ ألف فيه مصنفين هما الإكمال والجامع ،

ويقال إن الأخير أصل كتاب سيبويه . ويعتبر الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ هو الواضع الحقيقي لعلم النحو في صورته النهائية، بل هو المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي والمقيم لقواعده والمشيد لبنائه وأركانه .

وخلفه في النحو سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ وقد ألف مصنفه الموسوم باسم (الكتاب) مضيفاً إليه ما يدل على ذكائه وفطنته، والكتاب يعد آية رائعة من آيات العقل العربي حتى سماه بعضهم قرآن النحو، وأهم من تلقى هذا الكتاب عن سيبويه من البصريين الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١١ هـ .

وكان في الكوفة طائفة من النحاة، غير أنهم لم يبرعوا براعة البصريين، ولذلك كانوا يرحلون إليهم ويتلمذون عليهم، حتى إذا تقدم الزمن أخذوا يستقلون عن نظرائهم في البصرة بمذهب نحوي مستقل بحيث أصبح في النحو مذهبان متقابلان: مذهب البصرة الذي يعنى بالقياس مستمداً له من استعمال العرب الشائع، ومذهب الكوفة الذي يعنى بالسماع ويقدمه على القياس مهما كان شاذاً نادراً .

وأقدم نحاة الكوفة أبو جعفر الرواسي وخلفه معاذ بن مسلم المتوفى سنة ١٨٧ هـ، فالكسائي سنة ١٨٩ هـ ثم الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وكان كأستاذه الكسائي يقدم السماع على القياس .

أما بالنسبة للتاريخ، فإن أول اهتمامات المؤرخين في ذلك العصر كانت تتوجه نحو السيرة النبوية، وقد لمع في هذا النطاق محمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ، فألف السيرة ووزعها على ثلاثة أقسام كبيرة هي المبتدا والمبعث والمغازي، إلا أن هذا الكتاب فقد، ووصلتنا رواية متهذبة له رواها عبد الملك بن هشام المتوفى بالفسطاط سنة ٢١٨ هـ.

كما يعتبر محمد بن عمر الواقدي قاضي المأمون والمتوفى سنة ٢٠٧ من المؤرخين الكبار الذي عنوا بكتابة السيرة النبوية وله مصنفات كثيرة في الفتوح وتاريخ الخلفاء وأيام الناس، كما ألف تلميذه وكاتبه محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ كتابه الطبقات الكبرى وضمنه سيرة مطولة للرسول (ﷺ).

وعني كثير من المؤرخين بالكتابة في أحداث الدولة العربية كما فعل أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٥٨ هـ إذ ألف كتباً مختلفة في الفتوح وفي حروب صفين، وسيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٨٠ هـ ونصر بن مزاحم سنة ٢١٢ هـ وقد نشرت له بالقاهرة وقعة صفين.

وصب هشام بن محمد الكلبي عنايته على تاريخ العرب القديم وما يتصل به من أنساب وأيام وأشعار. كما برز من المؤرخين لهذا العصر المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وكان له

كتاب ضخيم في أخبار الخلفاء وآخر في الدولة العباسية وكتب مختلفة في السيرة النبوية وفي الفتوح وأيام الناس، وإلى جانب ذلك أخذت تؤلف في هذا العصر كتب الرجال الذين حملوا الحديث النبوي من صحابة وتابعين على غرار كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، ومثله كتاب معرفة الرجال ليحيى بن معين المتوفى سنة ٢٢٣ هـ. وهكذا نشطت كتابة التاريخ في عصر ديك الجن، فلم تقف عند السيرة النبوية بل اتسعت لتشمل تاريخ العرب في الجاهلية ودولهم في الإسلام وتاريخ الرسل والأنبياء، كما عني بعضهم كابن المقفع وغيره بترجمة الكتب المؤلفة في سير ملوك العجم.

٢ . الشعر والشعراء

لعبت النزاعات السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية دوراً بارزاً في نمو الشعر وتطوره في العصر العباسي الأول، وهذه النزاعات وما نتج عنها من آثار شعرية رائعة تبين كم كان هذا العصر غنياً بالشعراء الذين تباينت مواقفهم وتعارضت آراؤهم حيال سلطة الخلافة العباسية، وكان لموقف الخلفاء والوزراء الإيجابي والمشجع أثر عظيم الأهمية على تطور الحركة الشعرية ونموها وتنوعها، فقد تقاطر الشعراء على أبواب الخلفاء يتسابقون على اكتساب الجوائز السنية والهبات العظيمة، مما شحذ القرائح وألهب العقول والنفوس، ويعتبر كتاب الأغاني أنفس كتاب وأغنى مصدر في هذا النطاق، فهو يترجم لمئات الشعراء، ويصور طبيعة الحياة العباسية ومظاهرها المتنوعة، وحضارتها وثقافتها.

وهكذا فقد نظم الشعراء العباسيون في معظم فنون الشعر، بل طوروها واستحدثوا أفكاراً جديدة لم تكن مألوفة من قبل.

فعلى صعيد المدح نلاحظ أن الشعراء العباسيين لم

يصوروا في مدائحهم المثالية الخلقية والمثالية السياسية فحسب، بل صوروا الأحداث بما تشتمل عليه من فتن وثورات وحروب، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة، وكانت قديماً تشتمل على مقدمات تصف الأطلال والصحراء ومشاهد الصيد، وقد استبقى بعض الشعراء العباسيين هذه المقدمات فاتخذوها رمزاً، وتحول البعض الآخر من وصف الصحراء ومساكنها وحيوانها إلى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها الجميلة في الريف، كما أقدم الشعراء على وصف الخمرة في مقدمات مدائحهم متأثرين بموجة المجون الحادة التي سادت العصر، كما عتوا بيث الحكم في قصائدهم المدحية.

وضعف في العصر العباسي الأول فن النقائض، أما الهجاء، فإنه لم يضعف بسبب التنافس بين الشعراء، وقد عمت فيه روح جديدة، وأصبح الصحيفة التربوية المقابلة للمديح، فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوىء الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع، وقد كان للمجون والفحش أثر في انتشار فن الهجاء، فكانت تشيع فيه أحياناً روح السخرية المريرة، وأحياناً أخرى روح الفكاهة المضحكة.

وظلت للفخر حيويته القديمة، وإن كان قد ضعف فيه الفخر القبلي، ونشط الشعراء في الرثاء نشاطاً واسعاً، إذ لم

يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلا وأبنوه تأييناً رائعاً، وقد
صوروا في القواد بطولاتهم الرائعة ومحنة الأمة والجيوش في
وفاتهم، ومن ذلك مرثي أبي تمام في محمد بن حميد
الطوسي، ومن الأبطال الذين بكاهم الشعراء منصور بن زياد،
وقد أبلى بلاء حسناً في القضاء على ثورة بالقيروان، ووفاه
القدر، فرثاه عبد الله بن أيوب التميمي بقصيدة بديعة مطلعها:

أما القبور فإنهن أوانس
بجوار قبرك والديار قبور

ولعل بطلاً لم تذرف دموع الشعراء عليه كما ذرفت على
يزيد بن مزيد الذي فتك بخوارج الموصل فتكة حاسمة.

وشاع في هذا العصر بكاء الرفاق والأصدقاء، وظهرت
ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة من قبل، كرثاء
المدن، ورثاء الطير الصالح كالقمري والحيوانات المستأنسة،
ومن المراثي الجديدة مرثية محمد بن يسير لبستان له عاثت فيه
شاة أفلتت لبعض جيرانه، وقد أكثر الشعراء في هذا العصر من
العتاب والاعتذار.

ولعل الشاعر العباسي لم يعن بموضوع قديم عنايته
بالغزل وتصوير عاطفة الحب الإنسانية.

وشاع الغزل الماجن وبلغ من حدته أن شاع الغزل
بالغلمان، ومن المحقق أن الجوّاري هن اللاتي دفعن
المجتمع العباسي في بعض جوانبه إلى الفساد الخلقي.

كما ظهر شاعر تخصص بالغزل العفيف واشتهر به وهو
العباس بن الأحنف.

وقد اتسعت في هذا العصر موجة المجون، واتسع معها
وصف الخمر، وبلغت غايتها في عهد الخليفة الأمين، إذ حول
قصر الخلافة إلى مقصف للخمور والمجون، واتخذ أبا نواس
نديمه.

وشاع في العصر العباسي الأول شعر الزهد، وكان أكثر
اتصالاً بحياة الجماهير من شعر الخمر والمجون.

وإلى جانب هذه الموضوعات القديمة نفذ الشعراء
العباسيون إلى تصوير معالم بيئتهم وحضارتهم، فقد أكثروا من
وصف الأمطار والسحب والرياض وخاصة في الربيع وعبروا
عن مشاعرهم أحياناً خلاف هذا الوصف، وكانوا يحتفظون
أحياناً في مقدمات مدائحهم بوصف الصحراء وأحياناً بتركها
والانتقال إلى وصف الطبيعة في الحاضرة بيساتينها ورياضها.

ونرى إلى جانب ذلك شعراء كثيرين يعنون بوصف
مظاهر الحضارة العباسية المادية وما يتصل بها من الترف في
الطعام والتأنق في الملابس والثياب ووصف القصور وما حولها
من الجنائن والحدائق، وما يجري فيها من الظباء والغزلان
وأكثرها من وصف الحيوان والطيور والحشرات، كما وصفوا
الأمراض والآفات وصفاً دقيقاً وصوروا العواطف الأخوية

والبنوية والقراية وحلّلوا كثيراً من المشاعر الزوجية، كما تحدثوا عن حياة البؤس والمسغبة التي كان يرزح تحت أثقالها جمهور كبير من أبناء المجتمع.

وكانت مجالس الخلفاء والوزراء تعنى بالنوادر والفكاهات، وهياً ذلك لشيوع روح الغزل في بعض المقطوعات والقصائد، كما نظم الشعراء أراجيز كثيرة في الصيد سموها الطرديات، واستحدثوا فناً شعرياً جديداً هو الشعر التعليمي الذي دفع إليه رقي الحياة العقلية، ولا ريب في أن أبان بن عبد الحميد هو الذي عمل على إشاعة هذا الفن الشعري الجديد فقد نظم فيه تاريخاً وفقهاً وقصصاً كثيراً، وأهم من ذلك كله أنه نظم في القصص كتاب كليله ودمنة في أربعة عشر ألف بيت، وعلى هذا المنوال نظم أبو العتاهية مزدوجته التي سماها ذات الأمثال ويقال إنها كانت تبلغ أربعة آلاف بيت، كما نظم محمد بن إبراهيم الفزاري مزدوجة طويلة في علم النجوم تدخل في عشر مجلدات كما يذكر ياقوت الحموي في الجزء السابع عشر من معجم الأدباء.

ودخلت ملامح من هذا الفن التعليمي إلى بيئات الإخباريين، فإذا الأصمعي ينظم قصيدة طويلة في ذكر الملوك والأمم الخالية البائدة، كما عرفت بيئات المتكلمين شيئاً من هذا الفن أيضاً، فقد نظم معدان الشيعي الشميطي أحد متكلمي الشيعة الإمامية قصيدة طويلة في أصناف الشيعة

وعقائدهم، كما أكثر بشر بن المعتز المعنزي المشهور من
النظم في الرد على أصحاب المقالات والنحل المختلفة.

وغاية القول إن عصر ديك الجن كان غنياً بالشعر
والشعراء، فقد ازدهرت معظم فنون الشعر وتطورت، وكانت
سجلاً حافلاً للحياة العباسية وما نشأ فيها من نزاعات متنوعة،
وهكذا كان الشعر السياسي والشعر المذهبي حتى إن الصراع
الفكري والعقلي وجد له شعراء يصورونه خير تصوير.

السيرة الذاتية والسيرة الأدبية

السيرة الذاتية

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم الكلبي الملقب بديك الجن الحمصي . أصله من سلمية ومولده بمدينة حمص سنة ١٦١ هـ وتميم أول من أسلم من أجداده ، وكان جده حبيب يتقلد الإقطاع لأبي جعفر المنصور .

تعددت الروايات بشأن لقبه ، ومنها أنه لقب بديك الجن لخروجه المستمر إلى البساتين ومعاقرة الخمرة على وجه التشبيه بالدويبة المعروفة بديك الجن التي أتى القزويني على ذكرها في كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - ص : ٤٧٥) فقال : ديك الجن دويبة توجد في البساتين ، إذا ألقيت في خمر عتيق حتى تموت ووضعت في فخارة يشد رأسها وتدفن في وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرض .

كما يروى أنه لقب بهذا الاسم لقصيدة قالها في رثاء ديك عمير ، وكان هذا قد ذبحه وأقام منه مأدبة دعا إليها أصدقاءه :

دعانا أبو عمرو عمير بن جعفر
على لحم ديك دعوة بعد موعده
فقدم ديكاً غد دهرأ ذملقاً
مؤنس أبيات مؤذن مسجد
ويذكر الزركلي في الأعلام/ج ٤/ فيقول: سمي بديك
الجن لأن عينيه كانتا خضراوين.

وفي تاج العروس للزبيدي ج ٧ / الديك في كلام أهل
اليمن الرجل المشفق الرؤوف، ومنه سمي الديك ديكاً.
والديك أيضاً الربيع في كلامهم كأنه لتلون نباته، فيكون على
التشبيه بالديك. وديك الجن لقب عبد السلام بن رغبان
الحمصي الشاعر المشهور.

ورغم تعدد هذه الروايات فإن أياً من المؤرخين والأدباء
القدماء لم يذكر سبب تلقيب عبد السلام بن رغبان بديك
الجن.

ومهما يكن فإن عبد السلام نشأ في حمص، ولم يفارق
الشام ولا رحل إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعر، ولا
متصدياً لأحد، وكان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مرث كثيرة في
الحسين مشهورة عند الخاص والعام، عاش حياته ماجناً خليعاً
عاكفاً على العبث واللهو والقصف متلافاً لما ورثه عن آبائه،
وكان له ابن عم يُسمى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله، وربما

هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة
يستخف بهم وبه .

وعلاقة ديك الجن بالجارية النصرانية ورد هي قصة
حياته المشبعة بروح الألم والندم والمرارة، والجارية من أهل
حمص وكان قد أحبها فخلبت لبه وأصبحت لا تبارح خياله،
حتى غلبت عليه فاشتهر بها، وإذ ذاك دعاها إلى الإسلام
فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يده فتزوجها وفي
ذلك يقول:

أنظر إلى شمس القصور وبدرها
والى خزامها وبهجة زهرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيط بخبرها
تسقيك كأس مدامة من كفها
وردية ومدامة من ثغرها

وظل الزوجان يتساقيان كؤوس السعادة والهوى حتى
ألمت بالشاعر ضائقة مادية واختلت حاله فيمم وجهه نحو
سلمية قاصداً أحمد بن علي الهاشمي، فأقام عنده مدة طويلة،
ثم إن ابن عمه أبا الطيب أبغضه بعد مودته له بسبب هجائه له،
وحمله بغضه على أن أذاع على زوجته ورد أنها تهوى غلاماً
له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع
ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام، فكتب إلى أحمد بن علي

شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر
(ورد) من قصيدة مطلعها :

إن ريب الزمان طال انتكائه
كم رمتني بحادث أحاده

ومدح أحمد بعد هذا، فأذن له، وفي طريق عودته إلى
حمص، قدر ابن عمه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يعلمونه
بموافاته باب حمص، فلما وافاه، خرج إليه مستقبلاً ومعنفاً
على تمسكه بزوجه بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه
بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به
معها المقام عليها، ودس الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا
قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم
بقدومه، ونادِ باسم ورد، فإذا قال من أنت، قل: أنا فلان. فلما
نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ
عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً. فبينما هو
كذلك إذ قرع الرجل الباب، فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان،
فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من هذا
الأمر شيئاً، ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال في
ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلت
وإلى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه
ألعار ما قد عليه اشتملت
لائم لي بسجھله ولماذا
أنا وحدي أحبت ثم قتلت
وقال فيها أيضاً:

أيها القلب لا تعد
لهوى البيض ثانيه
خنت سري ولم أخنك
فموتي علانيه

وبلغ السلطان الخير فطلبه، فخرج إلى دمشق وأقام بها
أياماً، وكتب أحمد بن علي الهاشمي إلى أمير دمشق أن يؤمنه،
ويتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته، فقدم حمص
وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه فندم، ومكث
شهرًا لا يستفيق من البكاء ولا يتناول من الطعام إلا ما يقيم
رمقه، وينشد:

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى
شيء أعز عليّ من نعليها

ما كان قتلها لأنني لم أكن
أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها
وأنفت من نظر الحسود إليها

تلك رواية صاحب الأغاني، (أما ابن خلكان صاحب
وفيات الأعيان، فيذكر أنه كان لديك الجن جارية اسمها دنيا،
فاتهما بغلامه وصيف، فقتلها ثم ندم على ذلك وأكثر من
التغزل بها). ودنيا في نفسها ورد زوجة الشاعر.

وذهب بهاء الدين العاملي في كتابه (الكشكول) إلى
أبعد من هذا، فهو يذكر أن الشاعر كان له جارية وغلام قد بلغا
في الحسن أعلى الدرجات، وكان مشغوفاً بجهما، فوجدهما
في أحد الأيام مختلطين تحت إزار واحد، فقتلهما وأحرق
جسديهما وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه
كوزين للخمر، وكان يحضرهما في مجلس شرايه ويضع
أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فتارة يُقْبَل الكوز المتخذ
من رماد الجارية وينشد:

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام وينشد:

وقتلته وله علي كرامة
 ملء الحشا وله الفؤاد بأسره
 والحقيقة أن هذه الرواية من صنع الخيال، وليس في
 ديوان الشاعر ما يرمز إلى ذلك، وجل القصة ما ذكرناه أول الأمر
 من علاقة الشاعر مع ورد ووشاية أبي الطيب وما تسببت به من
 مأساة. إلا أن ما ذكره البهائي كان مددًا خصبًا لبعض الشعراء،
 ومن أبدع ما قيل في ذلك قصيدة كأس للشاعر الكبير عمر أبو
 ريشة والتي بدأها بقوله: «يروى أن ديك الجن الحمصي قتل
 جاريته الحسناء حباً بها وغيره عليها، وجبل من بقايا جثتها
 المحروقة كأسه، وكان ينشد بين شربه وبكائه أبياتاً من الشعر»
 وختمها بهذه الأبيات:

قبلتها والليل ينفذ عنه أسراب النجوم
 ومدامعي تجري وكفي فوق خنجري الأثيم
 هي وقفة رعاء ضاق بهولها حلم الحليم
 فحملت شلوضحيتي والنار حمراء الأديم
 وجبلت من تلك الجذى كأسي ومن تلك الكلوم
 وغداً أحطمها أمام الله في ظل الجحيم
 فاشرب ودعها فهي ما مرت على شفتي نديم.

مات ديك الجن الحمصي سنة ٢٣٥ هـ - ٨٥٠ م في
 أيام المتوكل، دون أن يذكره أحد من معاصريه بكلمة رثاء،
 ولا نعرف سبب هذا الإهمال الذي لقيه الشاعر بعد وفاته.

السيرة الأدبية:

ديك الجن الحمصي من شعراء الدولة العباسية، لم يفارق الشام ولا رحل إلى العراق ولا إلى غيره مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد، ومعنى ذلك أنه لم يكن متكسباً في شعره، فأنفرد عن شعراء عصره، وتعفف عن قصد الملوك.

أما مدحه لأحمد بن علي الهاشمي فلم يحدث إلا مرة واحدة كما ورد في الديوان، وذلك عندما أعسر الشاعر فاحتاج إلى شيء من الدراهم عوناً لبعض إخوانه على عوادي الأيام وصروفها، ولعله مدحه بأكثر من قصيدة، إذ أن كثيراً من شعره قد ضاع. كما مدح جعفر بن علي الهاشمي شقيق أحمد، وكان عالماً فقيهاً أيضاً، من أئمة الدين والعلم.

وديك الجن شاعر مجيد، على مذهب أبي تمام والشاميين برأي صاحب الأغاني، وهو من المعدودين في إجادة الرثاء وهو أشهر فيه من أبي تمام وله فيه طريق انفرد بها كما يذكر ابن رشيق في العمدة، ويشير ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى أن عبد السلام كان يتشيع تشيعاً حسناً، وله مرث في الحسين، وكان ماجناً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو، وشعره في غاية الجودة.

ويقول ابن شهر آشوب في كتابه شعراء أهل البيت، إن
ديك الجن فاق شعراء عصره، وهو شاعر الدنيا وصاحب
الشهرة في الأدب، طار ذكره وشعره في الأمصار حتى صاروا
يبدلون الأموال للقطعة من شعره. افتتن بشعره الناس في العراق
وهو في الشام حتى إنه أعطى أبا تمام قطعة من شعره وقال له:
يا فتى اكتسب بهذا واستعن به على قولك فنفعه في العلم
والمعاش.

وفي العمدة لابن رشيق أن دعبيل بن علي الخزاعي
الشاعر المشهور، ورد حمص فقصده دار عبد السلام بن رغبان
ديك الجن، فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه، فقال: ما له
يستتر وهو أشعر الجن والإنس، أليس هو الذي يقول:
بها غير معذول فداو خمارها
وصل بعثيات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الردف كل عظمة
إذا ذكرت خاف الحفيظان نارها
فظهر إليه واعتذر له وأحسن نزله.

ويذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه عندما اجتاز
الحسن بن هانيء (أبو نواس) بحمص قاصداً مصر لامتداح
الخصيب، سمع ديك الجن بوصوله فاستخفى منه خوفاً أن يظهر
لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه، فقصده أبو نواس في داره وهو
بها، فطرق الباب، واستأذن عليه، فقالت الجارية، ليس هو

هنا، فعرف مقصده، فقال لها: قل لي له: أخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك:

موردة من كف ظبي كأنما
تناولها من خده فأدارها
فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه.

وفي (حلبة الكميت) لتلّو الجي أن أبا تمام لما قدم حمص
وأراد الاجتماع بديك الجن واختفى منه، جاء إلى منزله وقال
لأهله: مروه يخرج قد فتّن أهل العراق بقوله:
مشعشة من كف ظبي كأنما
فخرج إليه واجتمع به، وقال:

وممشق الحركات تحسب نصفه
لولا التمنطق مائلاً عن نصفه
يسعى إلي بكأسه فكأنما
يسعى إلي بدرة من كفه

وهذه رواية انفرد بها النواجي، ويبدو أنه اشتبه عليه
الأمر، لأن أبا تمام كان يختلف إلى ديك الجن في حمص إبان
نشأته الشعرية ويستفيد منه، ومعنى ذلك أن ما من شيء يدعو
ديك الجن إلى التخلي، فقد كان في قمة إبداعه الشعري، في
حين كان أبو تمام فتى لم يشتهر اسمه في الآفاق.

ويؤيد ذلك ما قاله أبو الفرج في الأغاني من أن أبا تمام

قبل أن يشتهر شعره دخل على ديك الجن فقال له : أنا ابن أخيك حبيب بن أوس وقد ألهمت الشعر وأحب أن أعرض عليك بعض ما قلته ، ثم أنشده ، فلما فرغ من إنشاده أخرج أبو محمد من تحت مصلاه درجاً كبيراً من أشعاره فأعطاه أبا تمام ، وقال : تكسب بهذه ، فأخذها أبو تمام وخرج .

كما ذكر ابن رشيق في العمدة أن أبا تمام أخذ عن ديك الجن شاعر الشام أمثلة من شعره يحتذي عليها فسرقتها .

وبشكل عام فإن ديك الجن يعتبر في طليعة شعراء العصر العباسي الأول ومن أبرزهم في الرثاء ، وهو شاعر مطبوع ، لا نجد صنعة في منظومه ولا تكلفاً في رصف كلمه ، يمتاز شعره بروعة المطالع وجزالة اللفظ وعذوبته ، وتدفق العاطفة ، ومتانة السبك وسلامة اللغة وفصاحتها .

ديوان ديك الجن :

يتناثر شعر عبد السلام بن رغبان في شتيت المجاميع الأدبية والتاريخية القديمة ، وهو لم يصل إلينا مجموعاً في ديوان خلال حياته أو بعدها ، لكن يبدو أنه كان مجموعاً ، إذ يحدث الثعالبي في المضاف والمنسوب أن ابن طباطبا طلبه من أبي عمرو وجعفر بن شريك فلم يعطه إياه ، فقال فيه :

يا جواداً يمسي ويصبح فينا
واحداً في الندى بغير شريك

أنت من أسمح الأنام بشعر النسا
س ماذا اللجاج في شعر ديك
يا حليف السماح لو أن ديك ال
جن من نسل ديك عرش المليك
لم يكن فيه طائل بعد أن يد
خله الذكر في عداد الديوك

وأول من التفت في أيامنا إلى ضرورة جمع شعر ديك
الجن ونشره في ديوان مطبوع الأستاذان الأديان عبد المعين
الملوحي ومحبي الدين الدرويش الحمصيان، وقد وفقهما الله
إلى ذلك إذ استوى لديهما ١٠٩ نماذج بين قصيدة وقطعة في
٤١٧ بيتاً تقريباً، فعمداً إلى جمعها في ديوان أطلقا عليه
(ديوان ديك الجن الحمصي)، ثم عمداً إلى طبعه في مطابع
الفجر الحديثة بحمص سنة ١٩٦٠ م في مئة وثلاثين صفحة
من القطع المتوسط.

وقد أكمل الأستاذان الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله
الجبوري عمل زميليهما وأصدرا سنة ١٩٦٤ م ديواناً جديداً
لديك الجن ضمناه قصائد الشاعر في آل البيت والتي لم
يذكرها الملوحي والدرويش، كما أنهما اعتمدا في إصدار
ديوانهما على نسخة الشيخ محمد السماوي والتي جمع
قصائدها بنفسه وكتبها بخط يده، وهي تقع في فصلين، الأول

يتضمن شعر دعبل الخزاعي والثاني شعر ديك الجن، وقد أرسلها إليهما الشيخ محمد علي اليعقوبي بعد أن انتقلت إليه بالبيع الشرعي، وقد رتبت نسخة ديوان ديك الجن على فصلين.

الأول: ما قاله في العلويين ويضم ثماني قصائد في ١٥٦ بيتاً، والثاني ما قاله في فنون مختلفة ويضم ٣٩ قصيدة في ٢٧٨ بيتاً.

وقد اتخذ مطلوب والجبوري هذه النسخة أصلاً وجمعاً ما لم يذكر فيها وألحقاه بالديوان فكان في ثلاثة أجزاء.

- الأول في آل البيت ويضم ثماني قصائد في ١٥٦ بيتاً.
- الثاني في فنون مختلفة ويضم ٣٩ قصيدة وقطعة في ٢٧٨ بيتاً.

- الثالث: تكملة الديوان وهو ما لم يجيء في النسخة المخطوطة. ويضم ٨٤ قصيدة وقطعة في ٢٠٧ أبيات.

— — — — —

- فنون الشعر -
في ديوان ديك الجن

- ١ - الرثاء
- ٢ - المدح
- ٣ - الهجاء
- ٤ - الفخر
- ٥ - الفزل
- ٦ - الشعر الخمرى
- ٧ - الوصف
- ٨ - الحكمة

١ - الرثاء

الرثاء هو بكاء الميت وندبه واسترجاع تاريخه والثناء على ما كان عليه من مواقف في الحياة، وتعداد مآثره السالفة وخصاله الحميدة، وكثيراً ما يكون موشحاً بطابع الحكمة والتأمل، ولديك الجن في ديوانه بعض قصائد في فن الرثاء، وفي إحداها يرثي الإمام الحسين بن علي ويستعيد ذكريات كربلاء، فإذا به منهار وجدانياً يكاد يقتله الحزن والأسى :

أصبحتُ مُلقى في الفراشِ سَقِيماً
أجدُ النسيم من السقام سموماً
مَرَّتْ بقلبي ذكرياتُ بني الهدى
فَنَسِيتُ منها الرُّوحَ والتهويماً^(١)
ونظرتُ سِبْطَ محمد في كربلا
فرداً يعاني حُزنَهُ المَكْظوما
تنحو أضالِعُهُ سيوفُ أُمِّيةٍ
فتراهم الصمصومَ فالصمصوما

(١) الروح: الرحمة والرزق والاستراحة . - هوم الرجل تهويماً: إذا هز رأسه من التعاس.

فالجسمُ أضْحَى في الصَّعيدِ مُوزَّعاً
والرأسُ أَمْسى في الصِّعادِ كَريماً^(٢)

فالشاعر طريح الفراش، حزين سقيم، لا يجد للراحة والهناء سبيلاً، حتى إنه صار يتخيل النسيم العليل سمّاً ووباء. فذكريات آل البيت تدمي فؤاده، ثم يتحدث عن الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ وعن معاناته وبلائه الشديد وهو يدافع بمفرده وسيوف الأمويين تنهال على أضلّاعه، حتى أصبح جسمه موزعاً على صعيد كربلاء ورأسه المكرم مرفوعاً على قنّاة.

وفي قصيدة ثانية يرثي الشاعر الحسين وآل البيت، معبراً عن ألمه وحزنه الذي لا ينفد، وهمومه التي غشيت فكره وفؤاده، حتى إنه نسي أمامها كل معنى له ولذّة، وهو يتساءل عن الحسين وبني الحسن ضحايا الظلم الأموي والعباسي، الضحايا الذين تشوق إليهم أركان البيت الحرام ويحن إليهم الحجر الأسود، وتبكيهم آيات القرآن الكريم وسوره المنزلة العظيمة، فأبي فخر بعد هذا الفخر:

ما أنتَ مِنّي ولا ربّعاكُ لي وطُرُ
أَلْهُمَّ أَمْلِكْ بِي والشُّوقُ والفِكرُ

(٢) الصَّعيد: التراب - الصَّعاد: مفردة الصَّعدة وهي القنّاة المستوية ويريد بها هنا الرياح.

أَيْنَ الْحُسَيْنُ وَقَتْلَى مِنْ بَنِي حَسَنٍ
 وَجَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ غَاَلَهُمْ غَمْرُ^(١)
 قَتْلَى يَجْنُ إِلَيْهَا الْبَيْتُ وَالْحَجَرُ
 شَوْقاً وَتَبْكِيَهُمُ الْآيَاتُ وَالسُّورُ

ثم يتابع الشاعر مشيراً إلى طريق الصبر والفداء الذي
 اختطه آل البيت، طريق محمد رسول الله ﷺ، وعلي أمير
 المؤمنين، إذ ارتضوا الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق
 والدين، ثم يعود الشاعر فيتحدث عما يكنه قلبه من محبة وعما
 يشعر به من ألم ومرارة، فهو يندب آل البيت ويبكيهم بدموع
 لا تعرف التوقف، ويرجو ألا تمحو الأنواء والأمطار مراقدهم
 الطاهرة:

لَا دَرَّ دَرُّ الْأَعَادِي عِنْدَمَا وَتَرُوا
 وَدَرَّ دَرُّكَ مَا تَحْوِينَ مَا حُفِرُ^(٢)
 لَمَّا رَأَوْا طَرَفَاتِ الصَّبْرِ مُعْرِضَةً
 إِلَى لِقَاءٍ وَلَقِيَا رَحْمَةً صَبَرُوا
 قَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ: يَا حَبِذَا نَهْلُ
 مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ بَعْدَهُ صَدْرُ^(٣)

(١) الغمر: الجاهل ذو الحقد.

(٢) الوتر: الظلم.

(٣) النهل: أول الشرب.

رُدُّوا هَنِيئاً مَرِيئاً آلَ فَاطِمَةِ
 حَوْضَ الرَّدَى فَارْتَضُوا بِالْقَتْلِ وَاصْطَبَرُوا
 الْحَوْضَ حَوْضَهُمْ وَالْجَدُّ جَدَّهُمْ
 وَعِنْدَ رَبِّهِمْ فِي خَلْقِهِ غَيْرُ
 أَبْكِيكُمْ يَا بَنِي بِنْتِ الرَّسُولِ وَلَا
 عَفْتُ مُحَلِّكُمْ الْأَنْوَاءَ وَالْمَطَرُ^(١)
 أَبْكِيكُمْ يَا بَنِي التَّقْوَى وَأَعُولُكُمْ
 وَأَشْرَبُ الصَّبْرَ وَهُوَ الصَّابُ وَالصَّبْرُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِقَلْبِي مِنْ تَذَكُّرِهِمْ
 تَغْرِيْبَةً وَلِدْمَعِي مِنْهُمْ سَفَرُ
 مَوْتاً وَقَتْلًا بِهَامَاتٍ مُفْلَقَةٍ
 مِنْ هَاشِمٍ غَابَ عَنْهَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ^(٢)
 كَفَى بَأْنَ أُنَاةَ اللَّهِ وَاقِعَةً
 يَوْمًا وَلِلَّهِ فِي هَذَا الْوَرَى نَظَرُ

وَفِي دِيْوَانِ دِيكَ الْجَنِّ قَصِيْدَةٌ قَالَهَا فِي رِثَاءِ جَعْفَرِ بْنِ
 عَلِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَكَانَ يَحِبُّهُ الشَّاعِرُ وَيَجْلِسُهُ وَيَتَرَدَّدُ إِلَى دَارِهِ فِي

(١) عفا: محا.

(٢) الهامات: الرؤوس - مفلقة: مشقوقة.

سلمية قرب حمص، لذلك صعد لما علم بموته، وتفتحت
عقيرته، فانطلق يكيه بأصدق عواطفه وأسمى مشاعره:

علي هذه كانت تدور النوائبُ
وفي كل جَمْعٍ للذهابِ مَذهبُ
نزلنا على حُكم الزمانِ وأمره
وهل يقبل النصفُ الألدُ المشاغِبُ^(١)
ويضحكُ بين المراءِ والقلبُ موجعُ
ورضي الفتى عن دهره وهو غائبُ

فالحياة دار فناء، يضحك فيها المراء ويلهو مع يقينه بأنه
سيموت، دون أن يدري متى وكيف وأين، فالموت خاتمة
الحياة، وهو حكم يسري على جميع المخلوقات. بعد ذلك
ينتقل الشاعر إلى رثاء جعفر بن علي، رجل المكارم والجود،
فموته أدمى المشاعر وأرهق القلوب، ويخدم أخاً لا يمت له
بقراءة، سوى قرابة الروح والمثل - (والشاعر هنا يعني بالأخ
نفسه).

ألا أيها الركبان والرُدُّ واجبُ
قفُّوا حدِّثونا ما تقول للكرادب

(١) النصف: بفتح النون وضمها وكسرها: الانصاف - الألد: الخصم الشحيح
الذي لا يرجع إلى الحق.

إلى أي فتیان الندى قصد الندى
 وأئهم نأبت جماه النوائب^(١)
 فيا لأبي العباس كم رُدُّ رَاغِبُ
 لفقدك ملهوفاً وكم جُبَّ غارب^(٢)
 ويا لأبي العباس إن مناكباً
 تنوء بما حُمِّلَتْهَا لنواكب^(٣)
 فهالت أخاً لم تحوهِ بقرابة
 بلى إن إخوان الصفاء أقارب

ثم يخاطب الشاعر قبر جعفر طالباً منه أن يجود على
 القبور من فيض سحابه الماطر، إذ فيه سماء غزيرة، غنية
 بالسحاب، وهو لو يدري ما فيه من عز وأمجاد لعالا حتى تصيح
 ذراه منتجع الكواكب:

ويا قبره جد كل قبر بجوده
 ففبك سماء ثرة وسحائب^(٤)

(١) الحمى: المنزل.

(٢) جب: قطع - الغارب: الكاهل.

(٣) المناكب: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد - نواكب: مفعولة.

(٤) ثرة: غزيرة - الجود: المطر الغزير.

فإنك لو تدري بما فيك من عَلا
 عَلَوْتُ وِثَاتٍ فِي ذِرَاكَ الْكَوَاكِبُ
 وينتقل الشاعر إلى الحديث عن الفيض الوجداني الذي
 يغمر فؤاده، والإجلال العظيم الذي كان يكتنه لجعفر بن علي،
 فقد كان يكيه دماً خيفة عليه وهو حاضر أمامه، وعندما يغيب
 عنه كانت عيناه تعميان من النحيب، وإذا ناشده الناس الصبر،
 رد عليهم بأن بكاء الكرام واجب. ويبلغ الحزن بالشاعر أقصى
 مداه عندما يعرض علينا هذه الصورة الباكية وذلك عندما رأى
 قلبه قَدْ شَطَرِينَ يوم وفاة ابن أمه جعفر، شطروهي وتلاشي
 والآخر أسقم واعتل، وهكذا أصبح يمضي أيامه في المرارة
 واليأس، يحاول أن يدفع ما استطاع من نوائب الدهر ولكن أين
 له ذلك والزمان محارب لا يقهر:

أخاً كنت أبكيه دماً وهو حاضِرُ
 حذاراً وتعمى مُقْلَتِي وهو غائب
 فمات فلا صَبْرِي على الأَجْرِ واقِفُ
 ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغِبُ
 يقولون مقداراً على المرء واجبُ
 فقلتُ: وإِغْوَالٌ على المرء واجبُ
 هو القلبُ لما حُمَّ يومُ ابنِ أمِّه
 وهي جَانِبٌ منه وأُسْقِمَ جَانِبُ

تَرَشُّفْتُ أَيَّامِي وَهَنْ كَوَالِحُ
عَلَيْكَ وَغَالِبْتُ الرَّدَى وَهُوَ غَالِبٌ^(١)
وَدَافَعْتُ فِي صَدْرِ الزَّمَانِ وَنَحَرِهِ
وَأَيُّ يَذِلِّي وَالزَّمَانُ مُحَارِبُ

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عما كان عليه جعفر بن
علي من مكرمات، فهو رجل العزيمة المتوقدة والنجدة
والمروءة، رجل كالسيف في الملمات، أخلاقه صور عذبة حية
عظيمة تدل وتشهد عليه في حله وترحاله :

فَتِي كَانَ مِثْلَ السِّيفِ مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ
لِنَائِبَةِ نَائِبَتِكَ فَهُوَ مُضَارِبُ
فَتِي هَمُّهُ حَمْدُ عَلَى الدَّهْرِ رَابِحُ
وَإِنْ غَابَ عَنْهُ مَالُهُ فَهُوَ عَازِبُ
شَمَائِلُ إِنْ يَشْهَدُ فَهَنْ مُشَاهِدُ

عِظَامُ وَإِنْ يَرْحَلُ فَهَنْ كِتَابُ
وَهَكَذَا أَظْلَمْتُ الدُّنْيَا فِي وَجْهِ الشَّاعِرِ، وَلَكِنْ مَا يَبْرُدُ
نِيرَانُ آلَامِهِ وَمَصَائِبِهِ أَنَّهُ يَرَى مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ زَمَنًا لَا تَعْكُرُهُ
الشَّدَائِدُ وَالْمَلَمَاتُ، عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَمَامَ اللَّهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

(١) كوالح : عوايس .

ولعل من أجمل قصائد ديك الجن تلك التي رثى فيها زوجته «ورد»، فبعد أن تيقن من براءتها من التهمة التي نقلت له عنها، وقد ذكرنا ذلك في الحديث عن سيرة الشاعر، وهذه القصيدة رغم صغرها تنضح بالإيقاع الموسيقي، والنغم الشجي، وتكشف حب الشاعر لزوجته، وعن اعترافه الصريح بأنه قتلها حتى روى الثرى من دمها، وطعنها بالسيف وهو يبكي من أعماق قلبه، ولا يلبث الشاعر أن يذوب حسرة ومرارة ويعلن عن تأسفه البالغ وندمه مقسماً بنعلها، بأنه ما وطىء الحصى شيء أعز عليه منهما، ثم يحاول تبرير ما قام به باستدارة وجدانية موفقة، إنها الغيرة القاتلة، التي دفعت الشاعر إلى قتل زوجته كي لا ينعم بالنظر إليها الحاسدون:

يا طَلْعَةُ طَلَعَ الحِمامُ عليها
وجنى لها ثَمَرَ الردى بيديها
رويتُ من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتيَّ من شفيتها
قد بات سيفي في مجالٍ وشاحها
ومدامعي تجري على خديها
فوحقُّ نعلها وما وطىء الحصى
شيءٌ أعزُّ عليَّ من نعلها

ما كان قتليها لأنني لم أكن
أبكي إذا سقط الغبارُ عليها
لكن ضنَّتُ على العيون بحسنها
وَأَنْفَتُ من نظر الحسود إليها

واستمع إليه في هذه المقطوعة القصيرة المؤثرة، يبكي
فيها الشاعر رفيقة عمره، بعد الندم الذي ملأ فؤاده، وحول
حياته إلى جحيم لا يطاق، ومرارة متواصلة، وكيف لا يبكي
وقد فقد القمر الذي ادخره ليوم بلائه وشدائده، بعد أن قتله وهو
يأسر قلبه ويعيش في كيانه :

أشفقتُ أن يُدلي الزمانُ بعذره
أو أُبتلى بعد الوصالِ بهجره
فمرُّ أنا استخرجته من دَجِينِهِ
لبليتي وجلَّوْتُهُ من خِذْرِهِ
فقتلتهُ وبه علي كرامةُ
مِلءُ الحشا وله الفؤادُ بأسره
عهدي به مَيِّتاً كأحسنِ نائمٍ
والحزنُ يسفحُ عبرتي في نحره

وفي قصيدة أخرى لا يرثي الشاعر زوجته فقط وإنما يرثي

نفسه أيضاً، تعبيراً عن الخسارة الفادحة التي مني بها والرزء
الجسيم الذي جناه على نفسه :

أَسَاكَنَ حُفْرَةَ وَقَرَارٍ لِحَدِّ
مُفَارِقِ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ

أَجْبَنِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوَابِي
بِحَقِّ الْوَدِّ كَيْفَ ظَلَلْتَ بَعْدِي

وَأَيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلُولِ قَلْبِي
وَأَحْشَائِي وَأَضْلَاعِي وَكَبْدي

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَانَيْتَ وَجْدِي
إِذَا اسْتَعْبَرْتُ فِي الظُّلُمَاءِ وَحْدِي

وَجَدْتُ تَنْفُسِي وَعِلَا زَفِيرِي
وَفَاضَتْ عَبْرَتِي فِي صَحْنِ خَدِي

إِذْ لَعَلِمْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ
سَتُحْفَرُ حُفْرَتِي وَيُسْقَى لِحْدِي

فهو يسأل هنا رفيقة عمره عما أصبحت عليه بعد فراقه،
وأما هو فإنه ينعي نفسه إليها وهو حي، معبراً لها عما يعانیه من
وجد وبكاء وألم مرير، ويعلن لها أنه عن قريب سيلحقها إلى
الدار الآخرة.

وخاتمة المطاف في فن الرثاء، مقطوعة صغيرة من ثلاثة

أبيات، رثى فيها الشاعر ولده رغبان، بعبارات تقطر المأ
ولوعة:

بأبي نبدتُكَ في العراءِ المقفرِ
وسترتُ وجهك بالترابِ الأعفرِ
بأبي بذتُكَ بعد صونٍ للبلَى
ورجعتُ عنك صبرتُ أم لم أضبرِ
لو كنت أقدِرُ أن أرى أثرَ البلَى
لتركتُ وجهك ضاحياً لم يُقبرِ

فهو يخاطب نجله من الأعماق، مدركاً أنه أضحى بعيداً
عنه في العراء، حيث ستر وجهه بالتراب، وأودعه الثرى بعد أن
بذل في سبيله الغالي والرخيص، ويعلن أنه لو كان يستطيع أن
يرى أثر البلَى لترك وجه ولده دون أن يقبر، لينعم عينيه برؤيته
ويسعد بالنظر إليه.

وهذه الأبيات الثلاثة ربما كانت جزءاً من قصيدة ضاع
معظمها كما ضاع غيرها من نتاج ديك الجن والله أعلم.

٢ - المدح

لم يعرف عن ديك الجن أنه قصد الملوك والخلفاء
والأمراء بغية مدحهم ونيل جوائزهم السنية كما فعل معظم
الشعراء الذين عاصروه، لذلك خلا ديوانه من شعر التكسب،
وقصر مدحه على آل بيت الرسول، وعليّ الهاشميين أحمد بن
علي وشقيقه جعفر، إذ كان مقدراً مجلاً لهما، وكثيراً ما كان
يقصدهما في سلمية مقر إقامتهما ويكيل لهما مدائحه
العصماء، وأكثر من نال إعجابه فمدحه أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب، إذ كان يراه المثل الأعلى والقُدوة الصالحة، لذلك
دافع عن حقه بالخلافة، وعدد مناقبه وفوائده ومعاليه،
وتحدث عن نضاله الرائع في سبيل الإسلام كما يبدو من
قصيدة لامية في الديوان:

دَعُوا ابنَ أَبِي طَالِبٍ لِلْهُدَى
وَنَحْرِ الْعَدَى كَيْفَمَا يَفْعَلُ
وَمَنْ كَعْلِي فَدَى الْمِصْطَفَى
بِنَفْسٍ، وَنَامَ فَمَا يَخْفَلُ

عَشِيَّةَ جَاءَتْ قُرَيْشٌ لَهُ
 وَقَدْ هَاجَرَ الْمُصْطَفَى الْمُرْسَلُ
 وَطَافُوا عَلَى فُرْشِهِ يَنْظُرُونَ
 مَنْ يَتَقَدَّمُ إِذْ يُقْتَلُ
 فَلَمَّا بَدَا الصُّبْحُ قَامَ السُّوَيْبِيُّ
 فَأَقْبَلَ كُلَّ لَهُ يَعْدُلُ

فالشاعر هنا يتحدث عن التضحية الرائعة التي قدمها
 علي خدمة للإسلام، عندما نام في فراش الرسول ﷺ عشية
 هجرته إلى يثرب، والمشركون في الخارج لا يساورهم أدنى
 شك في أن النائم هو محمد ﷺ نفسه، إلا أن ظنهم خاب،
 (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون).

وعلي مناضل صلب، وبطل لا مثيل له، خاض معارك
 البطولة والشرف في بدر وأحد، وقد بحسامه البتار أجسام
 المنافقين، وفتح بعزمه الجبار حصن خيبر وانتزع بابه الذي
 استعصى على العشرات، فكان الأسد الفرد الذي تعنوا له
 الأسود:

وَمَنْ كَعَلِي إِذَا مَا دَعَا
 نَزَالَ وَقَدْ قَلَّ مِنْ يَنْزِلُ
 تَرَاهُ يَقْدُ جُسُومَ الرِّجَالِ
 فَيَنْدَجِرُ الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ

وكم ضربةً واصلت كَفَّهُ
لِفَيْصَلِهِ فاحتوى الفَيْصَلُ^(١)
سَطًا يَوْمَ بَدْرٍ بِقِرْضَابِهِ
وفي أُحُدٍ لَمْ يَزَلْ يَحْمِلُ^(٢)
وَمِنْ بَأْسِهِ قُتِحَتْ خَيْبَرُ
وَلَمْ يُنْجِهَا بِأَبْهَا الْمُقْفَلِ
وَمَا أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا بِهَا
هَزُبَرٌ لَهُ دَانَتْ الْأَشْبُلُ^(٣)
وله أَرْجُوزَةٌ يمدح فيها علياً وسواه من آل البيت، ويذكر
ما قاله الرسول ﷺ بحق ابن عمه، إذ جعله أخاه، وسأواه
بنفسه واعتبره بالنسبة إليه بمنزلة هارون من موسى، وفضله
على سائر العالمين، وحذر خصومه ومعارضيه، وزوجه بأمر من
الله ابنته فاطمة سيدة النساء، ليزداد منه قرباً وبه قوة وبأساً:
إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ
وَالْخَيْرُ مَا قَالَ بِهِ الرَّسُولُ
إِنَّكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ الْأَبِيُّ
بِحَيْثُ مِنْ مُوسَاهُ هَارُونُ النَّبِيِّ

(١) الفَيْصَلُ: السيف.

(٢) قِرْضِيَّةٌ: قِطْعَةٌ - وَالْقِرْضَابُ: السيف القاطع.

(٣) دَحَا الشَّيْءَ: بَسَطَهُ - وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ إِذَا دَحَاهَا﴾ - الْهَزِيرُ: الْأَسَدُ.

لكنه ليس نبيُّ بعدي
 فأنت خيرُ العالمين عندي
 وأنت مني الزُّرُّ من قميصي
 وما لمن عاداك من مَحِيسٍ^(١)
 وأنت لي أَخٌ وأنت الصُّهْرُ
 زَوْجَكَ الَّذِي إِلَيْهِ الْأَمْرُ
 رَبُّ الْعُلَى بِفَاطِمِ الزَّهْرَاءِ
 ذَاتِ الْهُدَى سَيِّدَةِ النِّسَاءِ

ثم يتابع الشاعر فيمدح آل البيت أصحاب الكساء،
 معتبراً أن من والاهم واتبع خطاهم نجا واكمل إيمانه، ومن
 خالفهم أصلاه الله نار الجحيم، إنهم المرشدون إلى طريق
 الحق والهدى، والفوز بنعيم الدارين:

فالحمد لله على ما قد حبا
 لخمسة الأشباح أصحاب العبا
 هُمُ لِمَنْ وَالَاهُمُ أَمَانُ
 إِذْ كَانَ فِيهِمْ يَكْمُلُ الْإِيمَانُ
 وَهُمْ يَدْعُونَ الَّذِي لَهُمْ قَلْبِي
 لِلنَّارِ دَعَاً حَيْثُ كَانَ الْمُضْطَلَّى

(١) محيس: مهرب.

وَهُمْ هَذَاهُ الْخَلْقُ لِلرَّشَادِ
وَالْفَوْزِ فِي الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ

ولديك الجن قصيدة يعزي فيها جعفر بن علي الهاشمي
عن زوجته ويمدحه في بعض أبياتها، فهو بنظره رجل المهمات
الصعبة، يمتلك الشجاعة والحمية، والمروءة والنجدة، وهو
ينبوع الخير والأمل، ينبثق الهدى والنور من ملامحه، وترسم
على محياه آيات العقل، إذ به يعقل الناس ويهتدون إلى طريق
الحق والصواب:

أنت أبا العباس عَبَّاسُهَا
إذا اسْتَطَارَ الْحَدُّ الْمَغْضِلُ^(١)
وأنت يَنْبُوعُ أَفَانِيْنَهَا
إذا هُمُ فِي سَنَةِ أَمَحَلُوا^(٢)
وأنت عَلَامُ غُيُوبِ النَّشَا
يوماً إذا نَسَأُ أَوْ نُسَأَلُ^(٣)

(١) استطار: انتشر وتفرق - المغضِل: الصعب.

(٢) أمحلوا: أصابهم المحل وهو الجذب والقحط - السنة: الجذب.

(٣) في الأصل:

وأنت علام عيوب النشا
يوماً إذا نَسَأُ أَوْ نَسَأَلُ
نشا الحديث والخبر نثراً: حدث به وأشاعه وأظهره.

نحن نُعَزِّيكَ ومنكَ الهُدَى
 مُسْتَخْرَجٌ والنورُ مُسْتَقْبَلُ
 نقولُ بالعقلِ وأنتَ الذي
 نَأْوِي إليه وبه نَعْقِلُ
 نحنُ فِدَاءُ لك من أُمَّةٍ
 والأرضُ والآخِرُ والأوَّلُ
 إذا عفا عنكَ وأدى بها

ذا الدهرُ فهو المحيِنُ السُّجْمِلُ
 ورغم تردد الشاعر على أحمد بن علي الهاشمي في
 سلمية وما عرف عنه من مدح له فإننا لم نعثر في الديوان إلا
 على مقطوعة صغيرة من خمسة أبيات، ومن المؤكد أن معظم
 ما قاله الشاعر في أحمد بن علي قد ضاع، وفي هذه المقطوعة
 يستأذنه في العودة إلى حمص بعد أن بلغه من أمر زوجته الكثير
 ولا يشير إليه شخصياً إلا في البيت الأخير:
 إن رَيْبَ الزمانِ طال انتِكَائُه

كم رمتني بحادثٍ أحداثُه^(١)
 ظَبْيُ إنْسٍ قلبي مَقِيلُ ضحاهُ
 وفؤادي بَرِيرُهُ وكبائُه^(٢)

(١) انتكائه: انتقاضه - من نكث: نقض.

(٢) البرير: من ثمر الأراك - الكبائ: التضيق منه.

كم وكم أستغيثُ من شحطَةِ العا
 ر ولم يسعف النوى مُستغائهُ
 خيفة أن يَخُونَ عهدي وأن يُضدَّ
 جِي لِغَيْرِي مجولُهُ وَرَعَائِهِ^(١)
 فإذا شاءَ أحمدُ بنُ عليٍّ
 ضمَّ شملًا له يُخَافُ انشِعَائِهِ^(٢)

(١) حجول : جمع حجل وهو الخلخال - رعاث : جمع رعثة كوردة ورقبة وهي القُرط.

(٢) الشعث : انتشار الأمر - يقال لم الله شعثك : أي جمع أمرك لينتشر.

٣ . الهجاء

قصائد الهجاء قليلة في ديوان ديك الجن، فهي لا تزيد على ثنتين، إذ أن الشاعر كما ذكر صاحب الأغاني لم يبرح حمص مادحاً أحداً ولا متصدياً لأحد، ولعل نتاجه في هذا الفن ضاع مع ما ضاع له من شعر عبر الزمن.

وفي إحدى القصيدتين يهجو الشاعر أهل حمص لأن خطيبهم كان يكثر الصلاة على محمد ﷺ فعزلوه:

سمعوا الصلاة على النبي توالى

فتفرقوا شيعاً وقالوا: لا، لا

ثم استمر على الصلاة إمامهم

فتحزبوا ورمى الرجال رجالا

يا آل حمص توقعوا من عارها

خزياً يجلُ عليكم ووبالا

شاهت وجوهكم وجوها طالما

رغمت مغاطسها وساءت حالا^(١)

(١) شاهت: قبحت - المعطس: الأنف.

إن يُثْنِ من صلى عليه كرامةٌ
فإن الله قد صلى عليه تعالى

فأهل حمص أنكروا على الخطيب تكرار الصلاة على
النبي ﷺ وكان يصلي عليه في كل خطبة على المنبر ثلاث
مرات، لذلك ثاروا عليه وتحزبوا ضده وعزلوه، وينذر الشاعر
أهل حمص بخزي سوف يحل بهم ووبال يصيبهم، فطالما
ذلت وهانت وجوههم الصاغرة القبيحة، ويعجب الشاعر كيف
يُذم من يصلي على الرسول ﷺ علماً أن الله جل شأنه صلى
عليه وكرمه.

وفي القصيدة الثانية يهجو ابن عمه أبا الطيب لأنه كان
يعظه وينهاه عما يفعله حتى أنه كان يهجم عليه أحياناً وعنده
قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة فيستخف بهم وبه،
فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

يا عجباً من أبي الخبيث ومن
سُروجه في البكائر الدُّثيرة^(١)
يحملُ رأساً تنبو المعاولُ عن
صفحته والجلامدُ الوعرة^(٢)

(١) أبو الخبيث هو أبو الطيب وقد قلب كنيته - ويبدو أن الشطر الثاني مصحف -
ولعل صواب قراءته إلى خروجه في النكائر الدثرة، والنكائر: جمع نكير
وهو ما ينكره عليهم من المعاصي، والدثرة: المنسية البالية.

(٢) تنبو: تكل - الجلامد: جمع جلمد وهو الصخر.

لو البغال الصلب ارتقت سندا
 فيه لمدت قوائم خيرة^(١)
 وما المجانيق فيه مغنية
 ألف تسامى وألف منكيرة^(٢)
 انظر إلى موضع المقص من الها
 مة تلك الصبيحة العجيرة^(٣)
 فلو أخذتم لها المطارق حرا
 نية صنعة اليد الخيرة^(٤)
 إذن لراحت أكف جلهم
 كليلة والأداة منكيرة^(٥)

فالشاعر ينعت ابن عمه بالخبت ويعجب من ثورته عليه
 من أجل أشياء بالية قديمة، ثم يشير إلى صلابة رأسه الذي
 تعجز المعاول عنه، ولو ارتقت البغال لغشيها ثقل وفتور، ويدور

(١) السند: ما قايملك من الجبل وعلا عن السفح - خدرت رجله: غشيها ثقل
 وفتور فلم تقو على المشي.

(٢) المجانيق: جمع مجنيق وهي آلة ترمى بها الحجارة - منكيرة: من
 انكدت النجوم إذا تناثرت وانكدر أيضاً أسرع وانقض - وانكدر عليه
 القوم: انصبوا.

(٣) الصبيحة: الحجر العريض - المعرة: الصلبة المتعقدة.

(٤) حرانية: نسبة إلى حران وهي مدينة على طريق الموصل والشام والروم
 - خبر بالشيء - عالم به.

(٥) جنهم: كبارهم.

الشاعر حول نفس المعنى في سائر الأبيات، فلا المجانيق
تستطيع أن تفعل شيئاً فيه، ولا المطارق الحرائية المشهورة
تجدي نفعاً، إنما الذي يحصل أن الأكف ترجع كليله متعبة
وأداة العمل تنكسر وتنحطم.

ثم يتابع الشاعر فيتحدث عما جره ابن عمه من
مساوىء، فكم أفسد عليه وعلى من معه حياتهم، وحول صفو
عيشهم إلى كدر وألم، وكم أفسد من فتيات مسرورات حتى
تخيلته ملك الموت، إذ كلما رأيته تبرد أطرافهن من الوجله
والخوف، فيقذفنه بالسباب والشتائم، وأم أبي الطيب كريمة
لكنه عرضها للشتيمة من بعض القوم الذين أخذوا ينسبون إليها
المثالب، ثم يدعو الشاعر إلى الوقوف على منزل أبي الطيب
ورؤية ما فيه من جهل وغي، ويعجب كيف يمسك الله
السماء على الأرض وفيها أخلاق المهجو القذرة، وهو إلى
جانب ذلك طالعه نحس وعسر:

كَمْ طَرَبَاتٍ أَفْسَدْتُهُنَّ وَكَمْ
صَفْوَةٍ عَيْشٍ غَادَرَتْهَا كَدِرَةٌ
وَكَمْ إِذَا رَأَوْكَ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ
تِلْكَ لَهُمْ مِنْ أَنْأَمَلٍ خَصِرُهُ^(١)

(١) خصرة: باردة.

وكم لهم دعوة عليك وكم
 قَذْفَةٌ أَمْ شَنْعَاءٌ مُشْتَهَرَةٌ
 كَرِيمَةٍ لُّؤْمُكَ اسْتَخَفَّ بِهَا
 فَنَالَهَا بِالْمِثَالِ الْأَيْشِرَ (١)
 قِفُوا عَلَى رَحْلِهِ تَرَوْا عَجَبًا
 بِالْجَهْلِ يَحْكِي طَرَائِفَ الْبُصْرَةِ (٢)
 يَا كُلَّ مَنْيٍّ وَكُلَّ طَالِعَةٍ
 نُحْصِرْ وَيَا كُلَّ سَاعَةٍ عَسِيرَةٍ (٣)
 سُبْحَانَ مَنْ يُمِسُّكَ السَّمَاءُ عَلَى
 الْأَرْضِ وَفِيهَا أَخْلَقَكَ الْقَذِرَةَ
 وَفِي مَقْطُوعَةٍ صَغِيرَةٍ يَهْجُو دِيكَ الْجَنُّ نَفْسَهُ، إِنَّهُ سَمِعَ
 بِرَاهِ اللَّهِ فِي صُورَةٍ جَنِّي :
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي
 لَسْتُ بِي أَخْبِرَ مَنْيٍّ

-
- (١) المثلث : العيوب جمع مثلبة - الأشرة : جمع أشر وهو البطر .
 (٢) الرحل : المنزل والمسكن - البصرة : صيغة مبالغة من بصير وهو ذو الفراسة
 البعيد النظر - أي ما يصدر عن أبي الطيب من طرائف في الجهل يحكي ما
 يصدر عن ذوي البصر والفراسة .
 (٣) المنى : كذا ورد ولا معنى له ، والصواب يأكل من ، شبهه في نقله بالمن بعد
 العطاء وهو ثقیل على النفس ولذلك جاء في الحديث الشريف : «ولا
 تفسدوا صدقاتكم بالمن والأذى» .

أنا إنساني براني
الله في صورة جني
بل أنا الأسمج في العبد
من فدع عنك التظني
أنا لا أسلم من نفد
سي فمن يسلم مني

٤ - الفخر

الفخر هو مدح الإنسان نفسه أو قومه، وقد افتتن العرب بهذا الفن منذ العصر الجاهلي، وكانت الحياة القبلية آنذاك ميداناً رجباً لنموه وازدهاره.

وإذا كان الإسلام قد حد من جموح هذا الفن في مطلع الدعوة فنهى عن التفاخر بالأنساب والأحساب، فإنه عاد ليأخذ مكان الصدارة في عصر بني أمية بعد عودة العصبية القبلية والنزاعات السياسية المتعددة.

وفي العصر العباسي لم تخدم جذوة الفخر وانطلاقته، فدخل عصر النزاعات العقيدية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وها هو ديك الجن الحمصي يفتخر بقبيلته كلب معتبراً أنها خير من ولدت حواء أم البشر من العرب والعجم على السواء ثم يذكر بنضالها في سبيل إعلاء كلمة الدين الإسلامي في معارك أحد ومؤتة وصفين، كذلك في معركة كربلاء حيث قدموا أجسادهم وأرواحهم قرابين على مذبح التضحية والفداء:

كَلْبُ قَبِيلِي وَكَلْبُ خَيْرٍ مِنْ وَلَدَتْ
 حِوَاءُ مِنْ عَرَبٍ غُرٍّ وَمِنْ عَجَمٍ
 وَعَيَّرْتُنَا وَمَا إِنْ طُلَّ فِي أَحَدٍ
 وَطُلَّ فِي مَوْتَةٍ وَالِدَيْنُ لَمْ يَرْمِ
 غَدَاةَ مَوْتَةٍ وَالْإِشْرَاكُ مَكْتَهَلُ
 وَالِدَيْنُ أَمْرُدُ لَمْ يَيْفَعْ فَيَحْتَلِمِ
 وَيَوْمَ صَفِينٍ مِنْ بَعْدِ الْخَرِيبَةِ كَمْ
 دَمٍ أُطِلَّ لِنَصْرِ الدِّينِ إِثْرُ دَمٍ^(١)
 وَفِي الْفَرَاتِ فِدَاءُ السَّبْطِ قَدْ تُرِكَتْ
 أَشْلَاؤُنَا فِي الْوَعْيِ لِحِمَاً عَلَى وَضْمِ
 غَدَاةَ شَالَتْ مِنَ التَّقْوَى نِعَامَتَهَا
 وَأَذْنَتْ صَعَقَاتُ الْحَقِّ بِالنَّقَمِ^(٢)
 وَقَبِيلَةُ الشَّاعِرِ حَفَنْتْ دَمَ الْإِسْلَامِ بِالْمَنْعَةِ وَالْقُوَّةِ بِوَاسِطَةِ
 دَمِ رَجَالِهَا الَّذِي أَرِيقُ فِي سَاحَاتِ الْوَعْيِ وَالنُّضَالِ:
 إِنْ تَعَبَيْي لَدَمٍ مِنْهُ هُرَيْقٌ بِهَا
 فَقَدْ حَقَّنَا دَمَ الْإِسْلَامِ فَابْتَسِمِي^(٣)

(١) الخريبة: الموضع الذي وقعت عنده معركة الجمل.

(٢) شالت: ارتفعت - يقال: شالت نعماتهم إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء.

(٣) هريق: سفك.

وفي قصيدة أخرى يحمل الشاعر على العرب ويتحمس
لغيرهم، حتى إنه يفتخر بالانتساب إلى القياصرة والأكاسرة،
ويسخر من الشعراء القدماء الذين عاشوا في حمى الصحراء:

إني ببابك لا ودي يقربني
ولا أبي شافعٌ عندي ولا نسبي
إن كان عرفك مذخوراً لذي سبٍ
فاضمٌ يديك على حرٍّ أخي سبٍ
أو كُنتَ وافقته يوماً على نسبٍ
فاضم يديك فإني لستُ بالعربي
إني امرؤٌ بازلٌ في ذروتِي شَرَفٍ
لقيصرٍ ولكسرى محتدي وأبي^(١)
ما الشنفرى وسليكٌ في مُغَيَّبَةٍ
إلا رضيعاً لبانٍ في حمى أَشِبٍ^(٢)

ومن هنا نسب ديك الجن إلى الشعوبية، حتى إن
بعضهم عده من شعرائها، ولعله انحرف في ذلك مع تيار أبي
نواس وأضرابه دون قصد، تيار المجون الذي كان يقود إلى

(١) بازل: البعير نبت سنه، والرجل اكتملت تجربته.

(٢) الشنفرى وسليك شاعران عداوان من صعاليك العرب - المغيبة: الصحراء
التي تغيب سالكيها - الأشب: الملتف.

مثل هذه المواقف، والذي يعبر عن ترف العصر، وانقلاب المفاهيم الحياتية فيه، وليس عن حقد وكره من الشاعر.

وقد اتهم الأدباء والمؤرخون ديك الجن بالشعووية من غير أن يذكروا دليلاً على ذلك سوى ما رواه الأصفهاني في أغانيه إذ يقول: (كان شديد التشيع والعصية على العرب، ثم يذكر قولاً لديك الجن:

(ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم ﷺ وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا إذ جمعنا الدين).

ويذكر ابن خلكان هذا الكلام نفسه فيقول: وكان يفخر على العرب ويقول: ما لهم فضل علينا أسلمنا وأسلموا.

والحقيقة أنه لولا هذه العبارات المنسوبة للشاعر ولولا الأبيات التي سبقتها لما كان للناقلين شيء يدلون به على ديك الجن، ويوصمونه فيه بالشعووية، فهو عربي أصيل، من قبيلة عربية معروفة، ولد في بلاد الشام أعرق البلاد العربية تاريخاً وحضارات ونشأ في حمص العربية ولم يبرحها متصدياً لأحد ولا مادحاً أحداً سوى ما كان من مدحه للهاشميين الجليلين العرييين أحمد بن علي وشقيقه جعفر.

ولتتابع ما يقوله الشاعر في نفسه:

والله رب النبي المصطفى قسماً
 براً وحق مني والبيت ذي الحجب
 والخمسة الغر أصحاب الكساء معاً
 خير البرية من عجم ومن عرب
 منا شدة الحرص من شأني ولا طلبي
 ولا المكاسب من همي ولا أربي
 وليس يعرف لي قلدي ولا أدبي
 إلا امرؤ كان ذا قدر وذا أدب
 لا يفتننك شكري إن ظفرت به
 فإنها فرصة وافتك من كذب
 واعلم بأنك ما أودعت من حسن
 عندي ففي حسن أنقى من الذهب

فهو يقسم بالله العلي العظيم، وبآل البيت خير الناس
 قاطبة، وبالبيت الحرام على أنه يمقت البخل ولا يسعى وراء
 المكاسب الشخصية، ثم يعلن أنه لا يعرف قدره وأدبه إلا من
 كان مثله، ذا مكانة وأدب، وهو نقي السريرة، يبادل الإحسان
 بالإحسان، والمودة بالمودة الطافحة النقية.

والشاعر لا يفتأ يتغنى بمكارمه وعلاه وبأسه وصدقه
 ومجده كما يظهر في قوله:

إن العُلا شيمِي والبأس من نقمي
والمجد خلطُ دمي والصدق حشو فمي
ويؤكد على أمجاده في بيت آخر:
سلا هل كمجدي أو كفخري لفاخير
وعندكما من قبل أن تسألا خُبرُ

٥ . الغزل

حظي فن الغزل بقسط وافر من قصائد الشاعر في
الديوان، وقد فتن ديك الجن بالجمال وأنشد فيه أروع أغانيه،
فتحدث عن المفاتن الجسدية وساعات الفراق والوداع
واللقاء، وما تثيره من وجد وصباة وجوى، فاستمع إليه في هذه
الآبيات وهو يتحدث عن ساعة الفراق، يوم اعتصر كبده لوعة
وحزنًا، بعد أن شبكت محبوبته يدها بيده محاذرة أعين الوشاة
منصرفه وهي تعض أصابعها من فرط الغيظ وألم البعاد، ومذ
ذاك أسقط في يد الشاعر، فانصرف إلى البكاء وطلق عهد
الجلد والصبر:

ودعتهَا لفراقٍ فاشتكتُ كبدي
إذ شَبَّكتُ يَدَهَا من لوعةِ بيدي
وحاذرتُ أعْيِنَ الواشين فانصرفتُ
نَعَضُ من غيظها العُنَابَ بالبرْدِ
فكان أولُ عهدِ العَيْنِ يومَ نأتُ
بالدمعِ آخرَ عهدِ القلبِ بالجلدِ

وها هو في قصيدة بائنة يتحدث عن فتاة رائعة الجمال،
قامتها كالغصن الطري وقدها ضامر كالقضيبي، تفوق القمر
ضياء وانبعاثاً، حتى إنه يغيب كلما لاحت له، وفي هذه
الومضات الجمالية الساحرة يذوب ديك الجن، فيخاطب تلك
الفتاة في ليل مدلج دامس وقد انفردا في مثرر واحد يتناجيان
الهوى والغرام، فهي برأيه زين النساء، ومناه، وهواه الذي
يدعى له فيستجيب، إذ يطيب بها العيش وتحلو الأيام.

ومعدولةٍ مهما أملت إزارها
فَغُضْنٌ وأما قَدْها فقضيبي^(١)
لها القمر الساري شقيق وإنها
لتَطْلُعُ أحياناً له فيغيبُ
أقول لها والليل مُرْخٍ سُدُولُهُ
وغصنُ الهوى غصنُ النبات رطيب^(٢)
ونحن به فردان في ثني مثررٍ
بك العيش يا زين النساء يطيبُ

(١) في أعيان الشيعة :

(ومجزولة أما ملات إزارها
فدعصى وأما قدها فقضيبي)
ومعدولة لعلها تصحيف مجدولة.

(٢) في أعيان الشيعة : غصن الشباب.

لَأَنْتِ الْمُنَى يَا زَيْنَ كُلِّ مَلِيحَةٍ
وَأَنْتِ الْهَوَى أَدْعَى لَهُ فَسَأَجِيبُ

وكان ديك الجن قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل
حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه، فلما اشتهر بها
دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها فأجابته لعلمها برغبته فيها،
وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمها وردا وفي ذلك يقول:
أنظر إلى شمس القصور وبدرها

وإلى خزاماها وبهجة زهرها^(١)
لم تَبْلُ عَيْنُكَ أبيضاً من أسودٍ

جمع الجمال كوجهها في شعرها^(٢)
ورديّة الوجنات يختبرُ اسمها

من ريقها من لا يُجِيطُ بوصفها
وتمايلت فضحكْتُ من أردافها

عجباً ولكني بكيتُ لخضرها
تسقيكَ كأس مُدَامَةٍ من كفها

ورديّة ومُدَامَةٍ من ثغرها
فبدر اسم على مسمى، إنها شمس القصور وبدرها

(١) الخزامى: نبت طيب الرائحة زهره أطيب الأزهار نفحة.

(٢) تَبْلُ: تختبر.

المنير الجميل، ونباتها الزكي العابق وأزهارها الفاتنة الرائعة،
جمعت في شعرها الأسود ووجهها الأبيض الناصع كل عناصر
الجمال، وهي إلى جانب ذلك وردية الوجنات عذبة الريق
ضامرة الخصر ممثلة الردفين، تسقيك كأس خمرة وردية،
واحدة من كفها والأخرى من ثغرها.

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن لقائه بفتاة في حلم جميل
رآه:

مرت فقلت لها: تحية مُغرمٍ
ماذا عليك من السلام؟ فسَلَّمي
قالت لمن تعني فطرقك شَاهِدُ
بنحول جسمك قلت للمتكلم
فضاحكت فبكيتُ، قالت لا تُرْع
فلعل مثل هواك بالمتبسم
قلت: اتفقنا في الهوى فزيارة
أو قُبْلَةٌ قبل الزيارة قَدْمي
فتبسمت خجلاً وقالت: يا فتى
لولم أدعك تنام، بي لم تحلم

فها هو يحييها بشوق وحب عندما مرت أمامه ويحشها
على رد التحية بمثلها، ولما سأله عن معنى أجابها، وهنا فرق
كبير بين الشاعر وبين محبوبته، فهو باك حزين وهي ضاحكة

مبتسمة، وإذا هدأت من روعه أخذ يتقرب منها، عارضاً عليها
أن يقوم بزيارة لها أو يقدم قبلة تسبق هذه الزيارة، فخرجت من
قوله ونبهته إلى أنه في حلم.

ويحن الشاعر في مقطوعة أخرى إلى ذكريات
الأحباب، ويتشوق إلى ساكني أكناف الشام ويقسم على أنه لم
يفارق تلك الديار إلا مرغماً وليس عن بغض وكراهية، ولكن
إذا أراد الله أمراً يقول له كن فيكون:

أما لي على الشوق اللجوج مُعِينُ
إذا نزحت دارٌ وخَفَّ قَطِينُ^(١)
إذا ذكروا عهد الشام استعادني
إلى من بأكناف الشام حنينُ^(٢)
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها
ولكنَّ ما يُقْضَى فسوف يكون^(٣)

وفي مكان آخر من الديوان يشكو الشاعر مرارة إقصائه
ونسيانه بعد فراق الأحباب، ويتساءل عن سبب هذا الإهمال،
فقد عذبه الله بالصدود ولم يزح عن صدره ثقل الهموم

(١) اللجوج: الملح - خف: ارتحل مسرعاً - القطين: أهل الدار.

(٢) الأكناف: جمع كنف وهو الجانب

(٣) القلي: البغض.

والأحزان، ثم يرجو أحبابه ألا يصدوه حتى لا يشمتوا به الأعداء
إن كان قد أحب غيرهم أحداً :

أَقْصَيْتُمُونِي مِنْ بَعْدِ فَرَقَتِكُمْ
فَخَبِّرُونِي عِلَامَ إِقْصَائِي
عَذَّبَنِي اللَّهُ بِالصَّدُودِ وَلَا

فَرَّجَ عَنِّي هَمَّ بِلَوَائِي
إِنْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ حُبَّكُمْ أَحداً

أَوْ كَانَ ذَاكَ الْكَلَامُ مِنْ رَائِي^(١)
فَلَا تَصُدُّوا فَلَيْسَ ذَا حَسَنًا

أَنْ تُشْمِتُوا بِالصُّدُودِ أَعْدَائِي
ويلجأ إليك الجن أحياناً كثيرة إلى الغزل بالمذكر إلى
جانب ما ذكرناه من قطع غزلية تحدث فيها عن الجمال
الأنثوي، وها هو يقول في غلام بدأ ظهور شعر عارضيه مشيراً
إلى أنه سيقع في الإثم والخطيئة:

وَقَالُوا قَدْ تَوَشَّحَ عَارِضَاهُ
فَقُلْتُ الْآنَ أَوْضِعُ فِي الْأَثَامِ^(٢)

وتتشابه الكائنات الحية بنظر ديك الجن، دون مقياس
محدد للجمال، لذلك فإن غايته مباشرة اللذة، فكل من يمشي

(١) الرءاء: الرأي.

(٢) توشح: لبس الوشاح والمراد ظهور الشعر - أوضع: أسرع.

على الأرض يراه جميلاً، وذلك إسراف في القول ما بعده
إسراف، وتكالب على ملذات الجسد دون تبصر وتعقل :

حَدُّ مَا يُنْكَحُ عِنْدِي

حَيَوَانٌ فِيهِ رُوحٌ

أَنَا مِنْ قَوْلِي مَلِيحٌ

أَوْ قَبِيحٌ مُسْتَرِيحٌ

كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ

هُ الشَّرُّ عِنْدِي مَلِيحٌ

وله في هذا المعنى تقريباً بيتان آخران :

أَعَشَقْتُ الْمُرْدَ وَالنَّكَارِشَ وَالشَّيْبَ

وعندي مثل البنين البنات^(١)

حَدُّ مَا يُشْتَهَى وَيُعْشَقُ عِنْدِي

حَيَوَانٌ تَحُلُّ فِيهِ الْحَيَاةُ

فديك الجن بصرح علناً بأنه يعشق الغلمان المرد

والصبيان الملتحين، ولا يفرق في الحب والغرام بين الفتيات

والفتيان، فمذهبه في اللذة أن يشتهي ويعشق أي نوع كان من

حيوان الأرض شرط أن تنبض في عروقه الحياة.

(١) النكاريش: جمع نكريش وهي من الفارسية - بمعنى الملتحي أو ذي اللحية الجميلة.

وكان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص يقال له
بكر بن دهمرد، وفيه يقول وقد جلسا يتحدثان إلى أن غاب القمر:
دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر

إذا ما تجلّى من محاسنك الفجر
وإما انقضى سحر الذين ببابل
فَطَرُفَكَ لي سحرٌ وريقك لي خمر

ولسوقيل لي: قُمْ وَأَذْعُ أحسن من ترى
لَصِخْتُ بأعلى الصوت يا بكر، يا بكر
فبكر بالنسبة للشاعر بدر منير، يغرب بدر السماء، أمام
طلعتة وتجليه، إنه أحسن وأجمل من رأى في حياته، فطرفه
سحر الشاعر وريقه خمرته المفضلة المعقّة.

وغلام الشاعر هذا كان شديد التمتع والتصون، إلا أن
قوماً من أهل حمص احتالوا عليه وأخرجوه إلى منتزه لهم يعرف
بميماس فأسكروه ونالوا منه جميعاً، وبلغ ديك الجن الخبر
فقال فيه قصيدة منها هذه الأبيات:

قُلْ لَهُضِيمِ الْكَشْحِ مِيَّاسٍ
انْتَقَضَ الْعَهْدُ مِنَ النَّاسِ^(١)
يا طلعة الآس التي لم تَمِدْ
إلا أَذْلْتُ قُضْبَ الآسِ

(١) هضم الكشح: ضامر الخصر - مياس: متبختر.

وَتَقْتِ بِالكَّاسِ وَشُرَابِهَا
وَحَتَفُ أَمْثَالِكَ فِي الكَاسِ
ونكتفي إلى هنا بهذا القدر من غزل ديك الجن، وهو
يكشف عن مذهبه وسلوكه في الحياة.

٦. الشعر الخمري

أقبل ديك الجن على الخمرة بلهفة ونهم، وعب من دنائها
وكؤوسها حتى صار عاجلاً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو
والعبث، وقد ذكرها كثيراً في شعره، قوصفها وتحدث عن
تأثيرها في نفسه وأشار إلى أوائها ومجالسها، فهي حمراء
تحاكي وجنة المعشوق، وشقائق النعمان، وإذا مزجت بالماء
أضحت نرجسية صفراء كلون العاشق المتيّم:
وحمراء قبل المزج صفراء بغدّه

بذت بين ثوبَي نرجسٍ وشقائقِ
حكّت وجنة المعشوقِ صرفاً فسَلَطُوا
عليها مزاجاً فاكتست لونَ عاشقِ
وله من قصيدة يخاطب فيها ساقياً وساقية:

أفديكما من حاملي قَدَحِينِ
قمرين في غُصْنَيْنِ في دِغْصَيْنِ^(١)
صُبّاً عليّ الراح إن هلالنا
قد صبّ نعمته على الثقلينِ

(١) دعص: كنيب الرمل.

وإلي كَأْسُكُمَا عَلَى مَا خَيَّلَتْ

بِالتَّبْرِ مَعْجُونًا بِمَاءِ لَجِينٍ
فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْهُمَا أَنْ يَصْبَالَهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ، تَشْبَهُ التَّبْرِ
مَعْجُونًا بِمَاءِ الذَّهَبِ اللَّمَاعِ. وَيَتَحَدَّثُ فِي قَصِيدَةٍ مِنْ سِتَّةِ
أَبْيَاتٍ عَنْ مَجْلِسِ خَمْرِي، غَرَقَ فِي حَلْبَاتِهِ، فَبَعْدَ أَنْ يَدْعُو إِلَى
مَعَاقَرَةِ الْخَمْرَةِ لَيْلِ نَهَارٍ، يُشِيرُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي يَحْمِلُهَا السَّاقِي
وَقَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَحْرُقَ يَدَهُ، وَهِيَ تَتَلَأَلَأُ لِمَعَانًا وَبَرِيقًا وَكَأَنَّمَا
اسْتَعَارَ لَوْنَهَا مِنْ خَدِّهِ وَأَدَارَهَا عَلَى الْجَالِسِينَ الَّذِينَ ظَلَوْا يَسْتَلُونَ
رُوحَهَا وَهِيَ تَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِهِمْ ثَارَهَا:

بِهَا غَيْرَ مَغْدُورٍ فِدَارٍ خَمَارَهَا

وَصِلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ ابْتِكَارَهَا^(١)

وَقُمْ أَنْتَ فَاحْتِثْ كَأْسَهَا غَيْرَ صَاغِرٍ

وَلَا تَسْقِ إِلَّا خَمْرَهَا وَغُقَارَهَا

فَقَامَ تَكَادُ الْكَأْسُ تَحْرُقُ كَفَّهُ

مِنْ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتِيهِ اسْتَعَارَهَا

مُشْعَشَعَةً مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّمَا

تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا

ظَلِيلَنَا بِأَيْدِينَا نُسْتَفِيعُ رُوحَهَا

وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا

(١) الغُبُوقُ: شرب المساء ويقابله الصباح.

وفي مقطوعة من ثلاثة أبيات يشير الشاعر إلى الخمرة
وقد انبعثت منها روائح المسك والعنبر، وهي تتألق بلونها
الوردي، يحملها ساق مهفهف جميل مورد الخدين حتى ليبدو
وكأن الخمرة قد اعتصرت منهما:

وَقَهْوَةٌ كَوَكْبُهَا يَزْهَرُ
يَنْفَحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ^(١)
وَرْدِيَّةٌ يَحْمِلُهَا مِثْلُهَا
كَأَنَّمَا مِنْ خَدِّهِ تُغْصَرُ
مُهْفَهْفَةٌ لَمْ يَبْتَسِمْ ضَاحِكًا
مُذْ كَانَ إِلَّا كَسَدَ الْجَوْهَرِ

ويتحدث في أبيات أخرى من الديوان عن أثر الخمرة
وانعكاساتها على نفسه وعلى الأشياء:

وَاسْتَلَّ رَاحًا كَبِيضٌ صَادَقَتْ حَجْفًا
خِلَاقًا أَوْ كِنَارٍ صَدَفَتْ سَعْفًا^(٢)
صَفْرَاءُ . فَاصْفَرْتُ فَأَنْتَ تَرَى
ذَوْبًا مِنَ التَّبَرِّ رَصَوَا فَوْقَهُ الشَّرْفَا^(٣)

(١) القهوة: الخمر - يزهر: يلمع.

(٢) راح: الخمرة - بيض: سيف - حجفاً: تروساً - خلأق: بالية.

(٣) هكذا وردت في الديوان ناقصة.

فلم أزل من ثلاث واثنتين ومن
خمس وست وما استعلی وما لطفاً
حتى توهمت نو شروان لي خولاً
وخلت، أن نديمي عاشر الخلفاء

فالخمرة التي استلها الساقى ذات تأثير بعيد، فهي كنار
تلتهم سعف النخيل وسيوف تمزق التروس الخلقة، لونها
أصفر كالنبر الذائب، ولقد استهوت الشاعر فعكف على تناولها
بنهم، وقد بلغ ما شربه ست كؤوس حتى فقد رشده وتخیل أن
كسرى أنو شروان عبداً له ومن حاشيته، وظن أن نديمه في
الشراب قد نادى الخلفاء.

وأسمعه في هذين البيتين يطلب من غلام سكر بجماله
أن يشني طرفه عنه، لأن الخمرة قد ملكت عليه قلبه ومشاعره،
وهو لا يحتمل في هذه الحالة سكرين ولا يمكن أن يفیق
منهما، سكر الهوى والعشق وسكر المدامة:
خُذْ يَا غِلامُ عِنانَ طَرْفِكَ فَأُثْبِتْهُ

عني فقد مَلَكَ الشُّمُولُ عِنانِي^(١)
سُكرانٍ: سُكْرُ هوى وسُكْرُ مدامةٍ
أنى يفیق فتى به سُكرانٍ

(١) الشمول: الخمر.

٧ . الوصف

كان ديك الجن مقلّاً في فن الوصف، ولولا أبيات متناثرة عبر الديوان لما كنا وقعنا على شيء، ففي مقطوعة صغيرة من خمسة أبيات يصف رجلاً قد امتلكه الحزن وملاً فؤاده، وخيم عليه القلق والتملّل وهو يحاول مداواة السهاد الذي يعتريه ولا ينفك يبكي بغزارة حتى رق له الجلاس، وكان فؤاده مضطرباً كأنه لسان أفعى، وأصوات أضلعه كأصوات قطع النقد المضروبة عندما يعدها الصرافون:

ومملوء من الحزن
يُعالج سورةً الأرق^(١)
تكادُ غروبُ مُقلّته
تُعْم الأرض بالغرق^(٢)
ويستولي تزفُّرُهُ
على الجُلاس بالحرق

(١) سورة: شدة - الأرق: السهاد.

(٢) غروب: جمع غروب وهو سيل الدمع الذي لا ينقطع.

كَأَنَّ فَوَادَهُ قَلْبًا
 لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
 وَأَضْلَعَهُ لِقَضْفَةِ
 صَيَارِفُ حَاسِبُو وَرَقِ^(١)

وفي مكان آخر من الديوان يصف ديكاً عبر قصيدة جمع فيها إلى الوصف الغزل والشعر الخمري، فهو يرى أن الديك عندما يحث بتغريده الناس على النهوض للحياة يشبه راهب الأسحار الذي يحيي الليل تعبدًا وابتهالاً، ويدعو الناس في السحر إلى الصلاة، وهذا الديك الذي يشير إليه الشاعر اصطليخ عرفه باللون الأحمر القاني وبدا على رأسه كدرة التاج على رأس السلطان، تبدو أذناه كحبتَي عقيق تتدليان فوق مذبحة:

أَمَا تَرَى رَاهِبَ الْأَسْحَارِ قَدْ هَتَفَا
 وَحَثَّ تَغْرِيدَهُ لِمَا عَلَا الشُّعْفَا^(٢)
 أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرُقُهُ
 كَدْرَةُ التَّاجِ لِمَا أَنَّ عَلَا شَرْفَا^(٣)

(١) الورق: الدراهم المضروبة.

(٢) الشعف: جمع شعفة وهي رأس الجبل.

(٣) صبغ أبي قابوس تعني شقائق النعمان.

مُشَنَّفٌ بِعَفِيقٍ فَوْقَ مَذْبَحِهِ
هل كنت في غير أُذُنٍ تعرفُ الشُّنْفَا

ثم يتابع ديك الجن مستقصياً دقائق حركات الديك وهو
يهز عرقه تيهاً نافضاً آخر ما يعتريه من نعاس، وهو يتحرك ثم
يعلو حتى جذب تغريده المغنين والشاربين فارتاحوا على
أنغامه وألحانه :

هز اللواء على ما كان من سِنَّةٍ
فارتَجَّ ثم علا واهتزَّ ثم هفا
ثم استمرَّ كما غنى على طَرَبٍ
مَرَّيْحُ شرب على تغريده، وَضَفَا^(١)

وللشاعر بيت واحد يصف فيه مجلساً فيقول :
كَأَنَّمَا الْبَيْتُ بِرِيحَانِهِ
ثَوْبٌ مِنَ السَّنْدُسِ مَشْقُوقِ

فالبيت الذي يتحدث عنه ديك الجن هو مجلس عامر،
يبدو بما يحويه من وجوه مشرقة عطرة كالريحان ثوباً من
السندس الأخضر المشقوق الجميل .

ويصف في بيت واحد سرباً من الحباريات :

(١) المريح : الشديد المرح - الشرب : القوم الشاربون - ضفا : إستطال
مستمراً .

وسِرْبِ حُبَارِيَاتٍ فَوْقَ طَرْدٍ
أَشْبَهَهَا بِمَشْيَخَةٍ جُلُوسٍ^(١)

فسرب الحباريات يبدو بلونه الأبيض فوق جبل كشيوخ
جالسين، والحباريات طيور أكبر حجماً من الدجاج وأطول
منها عنقاً.

وقال يصف كثير القلب في البلدان:
فتى ينصبُّ في ثغر الليالي
كما ينصبُّ في المُقْلِ السَّوَادُ

(١) الحباريات: جمع حبارى، وهو طائر أكبر من الدجاج وأطول عنقاً - الطود:
الجبل - المشيخة: أحد جموع الشيوخ.

٨ . الحكمة

في ديوان ديك الجن الحمصي بعض الومضات
الحكمية، ويبدو ذلك واضحاً في قصيدة لامية ينصح من
خلالها الإنسان بأن يسعى للمعالي، وأن يتكيف في تصرفاته
وعلاقاته حسب المناسب، وأن يغيث المحتاجين ويستغيث
برب العالمين في ليالي الشدة والبلاء، وأن لا يستسلم للضيم
والهوان ولا يستكين للحاجة والفقر، كما عليه أن يقتحم
الأهوال ويواجه الموت برياطة جأش عندما يكون أفضل
للإنسان من حياة الذل والاستعباد:

أَحْلُ وَأَمْرُزُ وَضُرٌّ وَأَنْفَعُ وَلَنْ
وَإِخْشُنْ وَرِشْ وَأَبِرْ وَأَتَدِبُ لِلْمَعَالِي
وَأَغِثْ وَأَسْتَغِثْ بِرَبِّكَ فِي الْآ
زَلِ إِذَا جَلَّلَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي^(١)
لَا تَقِفْ لِلزَّمَانِ فِي مَنْزِلِ الضَّيْمِ
مَ . وَلَا تَسْتَكِينُ لِرِقَّةِ حَالِ

(١) الأزل: الضيق والشدة - جللت: هجمت.

وَإِذَا خِفْتَ أَنْ يُرَاهِقَكَ الْعُدُ
 مُ فَعُدْ بِالْمُثَقَّاتِ الْعَوَالِي ^(١)
 وَأَهِنْ نَفْسَكَ الْكَرِيمَةَ لِلْمَوْتِ
 وَفَحِّمْ بِهَا عَلَى الْأَهْوَالِ
 فَلَعْمَرِي لِلْمَوْتِ أَزَيْنُ لِلْحَدِ
 ي مِنْ الضَّرِّ ضَارِعاً لِلرَّجَالِ

ثم يتابع الشاعر مبيناً أن مد اليد للناس وطلب الحاجة
 منهم فيه امتهان للكرامة وللعزة، وإذا ما عصف الدهر بأهل
 الكرم والجود فإن الناس ينقرضون، وتذوب سحائب الفضل
 والسخاء وتزول المكرمات، وقليلون أولئك الذين يصونون
 أعراضهم بالمال:

أَيُّ مَاءٍ يَدُورُ فِي وَجْهِكَ الْحُرِّ
 إِذَا مَا امْتَهَنَتْهُ بِالسُّؤَالِ
 ثُمَّ لَا سِيَّما إِذَا عَصَفَ الدَّهْرُ
 بِأَهْلِ النُّدَى وَأَهْلِ النُّوَالِ
 غَاضَبِ الْمَكْرَمَاتِ وَانْقَرَضِ النَّاسُ
 سُبُوحُ وَبَادَتْ سَحَائِبُ الْإِفْضَالِ

(١) رَاهِقٌ: دَانِي وَقَارِبٌ - الْعَدَمُ: الْفَقْرُ - الْمُثَقَّاتُ: الرَّمَاحُ.

فقليلٌ من السورى من تراه
بُرتجى أو يصونُ عَرَضاً بمال

وفي مكان آخر من القصيدة يخاطب الشاعر الإنسان أي
إنسان، فهو لا يحب أن يراه في أيام الشدة سالكاً طريق
الضلال والغي، مستكيناً مطأطئ الرأس ذلاً وهواناً في إقباله
وإدباره أمام الأغنياء، ثم يخيره بين أمرين، إما أن يشهر سيفه
ليحظى بالرزق، وإما أن يموت هزيل الجسم والكرامة :

لا أَحِبُّ الفتى أراه إذا ما
عضُّه الدهرُ جاثماً في الضلالِ

مستكيناً لدى الغني خاضع الط
رِفِ ذليلَ الإِدبارِ والإقبالِ
ذهب الناسُ فاطلبِ الرزقَ بالسيـ

فِ وإلا فمُتْ شديدَ الهُزالِ

وفي مقطوعة من أربعة أبيات يدعو الشاعر الإنسان إلى
التمتع بنعيم الدنيا، لأنه سيفنى يوماً ما وهو رهن الحوادث أسير
تقلبات الأيام، لذلك يجب ألا يؤجل لهو اليوم إلى غد، لأن
الدهر سرعان ما ينقل الفتى من حال إلى حال، وتمضي أيامه
كحلم نائم :

تمتع من الدنيا فإنك فانِ
وانك في أيدي الحوادثِ عاني

ولا تنظرنَّ اليومَ لهواً إلى غدٍ
 ومن لغدٍ من حادثٍ بأمان
 فإني رأيتُ الدهرَ يُسرِّعُ بالفتى
 وينقلُهُ حالينِ يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامُ نائمٍ
 وأما الذي يبقى له فأمانِي
 ويدعو الشاعر الإنسان في بيتين آخرين إلى أخذ ما صفا
 وراق من الزمان وترك ما يكدر وينغص، فالعمر قصير ولا يجب
 أن نغنيه في المحن والآلام:
 خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا صَفَا
 ودع الذي فيه الكدرُ
 فالعمرُ أقصرُ مدةً
 من أن يُمحَّصَ بالغيرِ
 وقال في الدهر والناس:
 يرقُدُ النَّاسُ آمِنِينَ وَرَيْبُ الدَّهْرِ
 يرعى رعاهُم بِمَقْلَةٍ لِحْصٍ
 وفي جهل الإنسان وقت موته:
 النَّاسُ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَا بَقَاءَ لَهُمْ
 لو أنهم عملوا مقدارَ ما علموا

**لمحة حول أسلوب
ديك الجن**



لمحة عامة حول أسلوب ديك الجن:

ديك الجن شاعر فحل، وهو وإن لم يدخل قصور الخلفاء والوزراء - في عصر تقاطر فيه معظم الشعراء على التكسب - فإنه دخل التاريخ من بابه العريض.

وحسبه فخراً أنه لم يبع شعره في سوق الدالين، ولم يرق ماء وجهه على أعتاب الملوك والجبارين.

وشعره من النوع الجيد، وهو كما ذكرنا باعتراف أبي نواس ودعبل وغيرهما أنه فتن أهل العراق بشعره وأنه أشعر أهل الجن والإنس.

وأسلوب ديك الجن جميل وواضح ومتين وهو شاعر مجيد متمكن ممسك بأسباب الإنقان، شعره رقيق النسيج عذب الإيقاع.

وديك الجن ممسك بزمام فحولة القول وجلال المعنى في مختلف أبواب الشعر، وإذا كان القول في الرثاء محكاً صادقاً لفحولة الشعراء لما يتطلبه الموقف من جلال المعاني ودقتها، وصدق الصور وحرارة المشاعر وتوليد الحكم وجزالة الأسلوب، فإن ديك الجن لا يقصر في هذا المجال، بل إنه

يجيد ويبرز ويتفوق حتى عده كثير من النقاد والدارسين من كبار شعراء الرثاء .

وهو وإن كان قد اعتمد على معاني السابقين فاقتبسها وحسنها، فإن غيره من كبار الشعراء اللاحقين قد اعتمدوا عليه واقتبسوا معانيه وصيغته، وكان في مقدمة هؤلاء المقتبسين أبو الطيب المتنبي، الذي نحس بالكثير من معاني الحكمة عند ديك الجن صارخة في شعره، ومن ذلك قول ديك الجن :

وإني بريء من أخي وانتسابه
إلي إذا ألفيت في طبعه بخلا
فإن لم تكن بالطبع نفس كريمة
وإن كرم الأباء لم أره فضلا
أخذه المتنبي في قوله :

وأنف من أخي لأبي وأمي
إذا ما لم أجده من الكرام
ولست بقانع من كل فضل
بأن أعزى إلى جد همام

وقال ديك الجن هذين البيتين الرائعين :
لقد أحللت شرك من ضميمري
مكأناً لا يحس به الضمير
فمات بحيث ما سمعته أذن
فلا يرجى له أبداً نهشور

فأخذهما المتنبى ونسج عليهما:
وسرك بين الحشاميت
إذا نشر السر لا ينشر
وهذا البيت الذي يورده علماء الصناعة لاحتوائه خمسة
تشبيهات دفعة واحدة:
وأمرت لؤلؤاً من نرجس ومتم
ورداً وعصت على العناب بالبرد
أخذ الوأواء الدمشقي بعض معانيه من بيت ديك الجن:
وحاذرت أعين الواشين فانصرفت
تعض من غيظها العناب بالبرد
وفي شعر ديك الجن نلمح أن مظاهر الصناعة والتجديد
كثيرة متنوعة، بل إنها تكاد تكون أكثر ظهوراً وأشد وضوحاً
عنده منها عند الشعراء المشهورين، وسوف نسوق بعض
أنماطها في مظهرين اثنين، مظهر الشكل والصيغة ومظهر
الصورة والمحتوى:
فمن ناحية الشكل والصيغة، نراه يعمد إلى إحياء بعض
أبياته بضروب من الجرس الموسيقي وألوان من الإيقاع
الجميل، وربما كان الترصيع أقرب هذه الألوان إلى ذوق ديك
الجن مثال قوله:

حُر الإهاب وسيمه، بَرُّ الإيا
ب كريمه، محض النصاب صميمه
أو قوله:

إن العلاء شيمي، والبأس من نقمي
والمجد خلط دمي، والصدق حشو فمي
كما يعمد ديك الجن إلى التجنيس، وهو في تجنيسه
وطباقة صانع بارع، يسوق إليك زخرفته في غير تعسف أو
إسفاف، بل في ثوب من الكلمات الناعمة المترفة ذوات
الجرس الفخم والإيقاع المنعم مثل قوله:

نبهته والندامى طال مكثهم
فقلت قم واكفنا الهم الذي وكفا
واصرف بصرفك وجه الهم يومك ذا
حتى ترى نائماً منهم ومنصرفاً

وأهم قضية قدمها ديك الجن في نطاق الشكل والصوغ
هي تدخله في صميم الأوزان والقوافي، واللعب بها لعب
الفنان الحاذق الذي شكل بصيغته هذه مرحلة من مراحل نشأة
الموشحة في الشعر العربي، كما يبدو من هذه الأبيات التي
قالها في زوجه التي قتلها:

قولي لطيفك ينشني
عن مضجعي عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع
عند الهجود عند الوسن
فعسى أنام وتنطفي
نار تأجج في العظام
في الفؤاد، في الضلوع
في الكبود في البدن
جسد تقلبه الأكف
على فراش من سقام
من قتاد، من دموع
من وقود، من حزن
أما أنا فكما علمت
فهل لوصلك من دوام
من معاد، من رجوع
من وجود من ثمن

وهنا ذهب التجديد في الشكل بديك الجن مذهباً بعيداً
فجعله ينفلت من وزن البيت التقليدي إلى هذا الشكل الذي
أمامنا. والذي شكل مرحلة من مراحل نشأة الموشحات العربية
وهي في طريقها إلى الأرض الأندلسية. بل إنني أرى أن هذا
الشكل قريب من نتاج بعض شعراء المهجر في العصر
الحديث.

والحقيقة أن هذه القصيدة بالغة الأهمية، إذ لم يصدف أن أبدع شاعر قديم على غرارها شكلاً وصياغة.

وإذا ما انتقلنا من إطار الشكل والصيغة إلى إطار الصورة والمحتوى، اكتشفنا في ديك الجن أصالة الشاعر الفنان، المبدع المؤثر، ويتجلى ذلك في وصفه للديك، إذ رسم صورة متحركة ناطقة تضمنت حركة وغناء وطرباً وقد ذكرنا شيئاً من قصيدة الديك في باب الوصف، ويعتبر من خلالها رائداً في رسم الصورة الشعرية الملونة المتحركة، وقد بلغت أبياته حد الإتقان بحيث أصبحت مثلاً يحتذى عند الشعراء الذين أتوا بعده.

ولديك الجن صورة أخرى فكهة رسمها لديك آخر، ولكنه ديك عجوز قدم طعاماً في مأدبة أقامها عمير بن جعفر، كان ديك الجن مدعواً إليها، ولعل الحوار الذي أجراه الديك الشاعر مع الديك المذبوح من أطرف أنواع الحوار وأمتعته فيما لو وجد حوار مماثل من هذا القبيل.

وهكذا فإن ديك الجن رغم مجونه ورغم بعده عن العاصمة بغداد متجمع الشعراء فإن شاعريته كانت من الخصوبة فناً وإنتاجاً وتنوعاً ومحافظة وتجديداً بحيث فرضت نفسها على معاصريه من ساكني بغداد، ثم صارت مثلاً يحتذى عند كبار الشعراء العرب الذين برزوا بعده.

نماذج من شعر ديك الجن

- في رثاء زوجته ورد
- في رثاء آل البيت
- في رثاء فاطمة الزهراء
- في الفزل
- في مدح علي أمير المؤمنين
- في الفخر
- في الحكمة



في رثاء زوجته ورد بعد أن ندم على قتلها

أساكن حفرةً وقراراً لحدي
مفارقَ خلةٍ من بعد عهدِ
أجبنني إن قدرت على جوابي
بحقِّ الودِّ كيف ظللتَ بعدي
وأين حللتَ بعد حلولِ قلبي
وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عانيتُ وجدي
إذا استعبرتُ في الظلماءِ وحدي
وجَدْتُ تنفُّسي وعلا زُفيري
وفاضتُ عُبرتي في صحنِ خدي
إذن لعلمت أني عن قريبٍ
سُتُحْفَرُ حُفْرَتِي وَتُسَقُّ لحدي
وبعدلني السفيهُ على بُكائي
كأنِّي مُبْتَلَى بالحزنِ وحدي

يقول: قتلتها سفهاً وجهلاً
وتبكيها بُكاءً ليس يُجدي
كصيادٍ الطيور له انتحابٌ
عليها وهو يذبُّها بحدٍّ

في رثاء ديك

وقال يرثي ديكاً لعمير وبه لقب ديك الجن كما تذكر
إحدى الروايات:

دعانا أبو عمرو عميرُ بن جعفرٍ
على لحم ديكٍ دعوةً بعد موعد
فقدم ديكاً عُذَّ دهرأ ذملاً
مؤنس أبيات مؤذن مسجدي
يحدثنا عن قومٍ هودٍ وصالحٍ
وأغرب ما لاقاه عمرو بن مرثدٍ
وقال لقد سبَّحتُ دهرأ مهلاً
وأسهرتُ بالتأذين أعين هجدي
أُذبح بين المسلمين مؤذناً
مقيمٌ على دين النبي محمد
فقلت له: يا ديكُ إنك صادقُ
وإنك فيما قلت غيرُ مُقنَّدٍ
ولا ذنبٍ للأضيافِ إن نالك الردى
فإن المَنايا للديوكِ بمرصدٍ

في رثاء أهل البيت

يا عينُ لا للغضا ولا للكُثْبِ
بُكََا الرزايا سوى بكَا الطَّرَبِ
جُودِي وَجِدِّي بملء جَفْنِكَ ثم
احتفلي بالدموعِ وانسكبي
يا عينُ في كربلا مقابرُ قد
ترَكْنَ فؤادي مقابر الكُربِ
مقابر تحتها منابرُ من
عِلْمٍ وحلمٍ ومنظرٍ عَجَبٍ
من البهاليلِ آلِ فاطمةِ
أهلِ المعالي والسادة النُّجَبِ
كم شَرِقَتْ منهم السيوفُ وكم
رُؤِيَتْ الأرضُ من دمِ سِرْبِ
نَفْسِي فداءً لكم ومن لكم
نَفْسِي وأمي وأُسرتي وأبي

لَا تَبْعَدُوا يَا بَنِي النَّبِيِّ عَلَى
 أَنْ قَدْ بَعُدْتُمْ وَالدَّهْرُ ذُو نُوبٍ
 يَا نَفْسُ لَا تَسَامِي وَلَا تَضِيقِي
 وَارْسِي عَلَى الْخُطْبِ رِسْوَةَ الْهُضْبِ
 صُونِي شُعَاعَ الضَّمِيرِ وَاسْتَشْعِرِي
 الصَّبْرَ وَحُسْنَ الْعِزَاءِ وَاحْتَسِبِي
 فَالْخُلُقُ فِي الْأَرْضِ يَعْجَلُونَ وَمَا
 لَكَ عَلَى تَوَائِدٍ وَمُرْتَقَبٍ
 لَا بَدَّ أَنْ يُخْشَرَ الْقَتِيلُ وَأَنْ
 يُسْأَلَ ذُو قَتْلِهِ عَنِ السَّبَبِ
 فَالْوَيْلُ وَالنَّارُ وَالثَّبُورُ لِمَنْ
 قَدْ أَسْلَمُوهُ لِلْجَمْرِ وَاللَّهَبِ

في رثاء فاطمة الزهراء

يا قبر فاطمة الذي ما مثله
قبرٌ بطيبة طاب فيه مبيتنا
إذ فيك حلت بضعة الهادي التي
تجلى محاسن وجهها حليتنا
إن تنأ عنه فما نأيت تباعدًا
أو لم تبين بذرا فما أخفيتنا
فسقى ثراك الغيث ما بقيت به
لَمَعُ القبور بطيبة وبقيتنا
فلقد بريها ظلمت مطيِّبًا
تَسَافُ مِسْكَاً في الأنوفِ قَيْتَنَا
ولقد تأملتُ القبور وأهلها
فتشتتُ فِكرِي بها تشتيتنا
كم مُقَرَّبٍ مُقْصِي وكم مُتَبَاعِدٍ
مُدْنَى، فساوَرَتِ الحشا عَفْرِيَتَنَا

في الغزل

وحياة ظبي لم أضْمَ عن ذكره
إلا عضضْتُ تندماً إبهامي
لأُشَافِهَنَّ من الذنوبِ عِظائماً
ينقذُ عنها جِلْدُ كلِّ صِيَامٍ

وقال:

فوق خَدَّيْ لُجَّةٌ من دموع
بغرقِ الوجدِ بينها والسلامُ

وله:

وعزيرُ بين الدلالِ وبين الـ
مُلْكٍ فارقتُهُ على رَغَمِ أنْفِي
لم أكن أعْلِمُ الزمانَ بِحُبِّي
هـ فيجني فيه عليَّ بِصَرْفِ
صُنْتُ عن أَكْثَرِي هَوَاهِ يَعِ
لَمْ ما بي إلا فؤادي وطَرْفِي

وله في الغزل والخمرة:

مولائنا يا غلام مبتكرة
فباكر الكأس لي بلا نظره
غدت إلى اللهو والمجون على
أن الفتاة الحية الحفرة
لحبها لأعج وبى حرق
مطوية في الحشا ومنتيره
ما ذقت منها سوى مقبلها
وضم تلك الفروع منحدرة
وانتهرتني فمت من فراق
يا حشنها في الرضا ومنتيره
ثم انثنت سورة الخمار بنا
خلال تلك الغدائر الخمره
وليلة أشرفت بكلكها
علي كالطلسان معتجره
فتفت ديجورها إلى قمر
أثوابه بالعفاف مشتيره
عج عبرات المدام نحوي من
عشر وعشرين واثنتي عشره

وقال بفضل الحب الأخير:

إشربْ على وجهِ الحبيبِ المقبلِ
وعلى الفمِ المتبسمِ المتقبلِ
شرباً يُذكّرُ كُلَّ حُبِّ آخِرِ
غَضٍّ وُنَيْسِي كُلِّ حُبِّ أَوَّلِ
نقل فؤادك حيثُ شئتَ فلن تری
كهوىً جديداً أو كوصلٍ مُقبلِ

قال في غلام له يدعى بكر بن دهمرد وهو من أهل حمص، وكان الشاعر يهواه كثيراً:

دَعِ البَدْرَ فليغربْ فأنتَ لنا بدرُ
إذا ما تجلّى من محاسنِكَ الفَجْرُ
وإما انقضى سِحْرُ الذين ببابلِ
فطرفُكَ لي سِحْرٌ وريقُكَ لي خمرُ
ولو قيل لي: قُمْ وادعُ أحسنَ من تری
لصحتُ بأعلى الصوتِ يا بكرُ يا بكرُ

وقال في الغزل والخمرة:

بها غَيْرَ مَعذُورٍ فداوِ خمارَها
وَصِلْ بعشِيَّاتِ الغبوقِ ابتكارَها

وَقُمْ أَنْتَ فَاخْتُ كَأْسَهَا غَيْرَ صَاغِرٍ
 وَلَا تَسْقِ إِلَّا خَمْرَهَا وَعُقَارَهَا
 فَمَقَامُ تَكَادُ الْكَاسُ تَحْرِقُ كَفَّهُ
 مِنْ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتَتِيهِ اسْتَعَارَهَا
 مَشْعُوعَةً مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّمَا
 تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا
 ظَلَّلْنَا بِأَيْدِينَا نُسْتَعِغُ رَوْحَهَا
 وَتَاخِذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا
 وَنَلْ مِنْ عَظِيمِ الْوِزْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
 إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْحَفِيفَانِ نَارَهَا

وقال:

وَمُزِرٌّ بِالْقَضِيْبِ إِذَا تَشْنَى
 وَعِزْهَاءٌ عَلَى الْقَمْرِ التَّمَامِ
 سَقَانِي ثُمَّ قَبَّلْنِي وَأَوْمَى
 بَطْرَفِ سَقْمُهُ يَشْفِي سَقَامِي
 فَبِتُّ لَهُ عَلَى النَّذْمَانِ أَسْقَى
 مُدَامًا فِي مُدَامٍ فِي مُدَامٍ

وقال في نصرانية :

لما نظرت إلي عن حَدَقِ المِها
وبسُمتِ عن متفتحِ النُوارِ
وعقدتِ بين قضيبِ بَانٍ أَهْيَفِ
وكثيبِ رَمَلٍ عُقْدَةُ الزُّنارِ
عَفَرْتُ خَدِّي في الثرى لك طائِعاً
وعزمتُ فيك على دخولِ النارِ

في مدح علي أمير المؤمنين

أنسى علياً وتفنيذ الغواة له
وفي غد يُعرف الأفاك والأشُرُ
من ذا الذي كلمته البيد والشجرُ
وسلم التربُّ إذ ناداه والحجرُ
حتى إذا أبصر الأحياء من يمن
برهانه آمنوا من بعد ما كفروا
أم من حوى قصبات السبق دونهم
يوم القلب في أعناقهم زورُ
أم من رسا يوم أخذ ثابتاً قدماً
وفي حنين وسلع بعدما عثروا
أم من غدا داحياً باب القموص لهم
وفاتحاً خبيراً من بعد ما كسروا
أليس قام رسول الله يخطبهم
وقال: مولاكم ذا أيها البشرُ

أَضْبَعْ غَيْرِ عَلِيٍّ كَانَ رَافِعُهُ
مَحْمَدُ الْخَيْرِ أَمْ لَا تَغْفِلُ الْحُمُرُ
دَعُوا التَّخَبُّطَ فِي عَشْوَاءِ مُظْلِمَةٍ
لَمْ يَبْدُ لَا كَوَكَبٍ فِيهَا وَلَا قَمَرُ
الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْأَعْلَامُ وَأَضِحَّةُ
لَوْ آمَنْتَ أَنْفُسُ الشَّائِنِينَ أَوْ نَظَرُوا

وقال من قصيدة مديح :

وعزیز یَقْضِي بِحَكْمِينِ فِي الرَّا
حِ بِجُورٍ وَفِي الْهَوَى بِمَحَالِ
لِنَقَا رِذْفِهِ وَلِلْخُوطِ مَا حُمَّ
لِ لِبِنَا وَجِيْذِهِ لِلْعَزَالِ
فَعَلْتُ مَقْلَتَاهُ بِالصَّبِّ مَا تَف
عَلُّ جَدْوَى يَدِيكَ بِالْأُمُوالِ
لَمْ تُقَسَّ بِالَّذِي عَدَاكَ مِنَ الْخَدِ
قِي فَمَا الشَّامَخَاتُ مِثْلَ الرَّمَالِ
وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ فِي صَو
رَةٍ لَيْثٍ فِي لَبْدَتِي رُئْبَالِ
فَالْقَهْ غَيْرَ أَنَّمَا لِبْدَتَاهُ
أَبْيَضُ ضَارِمٌ وَأَسْمَرُ عَالِ
تَلَقَّ لَيْثًا قَدْ قُلِّصَتْ شَفَتَاهُ
فَيُرَى ضَاحِكًا لِعَبْسِ الصِّيَالِ

في الفخر

قال يفخر بقبيلته كلب وهي إحدى القبائل العربية
المعروفة:

كَلْبٌ قَبِيلِي وَكَلْبٌ خَيْرٌ مِنْ وَلَدَتْ
خَوَاءٌ مِنْ عَرَبٍ غُرٍّ وَمِنْ عَجَمٍ
وَعَيْرَتْنَا وَمَا إِنْ طُلَّ فِي أَحَدٍ
وَطُلَّ فِي مَوْتَةٍ وَالْدَيْنُ لَمْ يَرْمِ
غَدَاةَ مَوْتَةٍ وَالْإِشْرَاكُ مَكْتَهَلُ
وَالْدَيْنُ أَمْرَدٌ لَمْ يَيْفَعْ فَيَحْتَلِمِ
وَيَوْمَ صَفِينٍ مِنْ بَعْدِ الْخَرِيبَةِ كَمْ
دَمٍ أَطْلَلُ لِنَضْرِ الدِّينِ إِثْرَ دَمٍ
وَفِي الْفَرَاتِ فِدَاءَ السَّبْطِ قَدْ تُرِكَتْ
أَشْلَاؤُنَا فِي الْوَغَى لِحِمَاً عَلَى وَضَمٍ
غَدَاةَ شَالَتْ مِنَ التَّقْوَى نِعَامَتَهَا
وَأَذَنْتْ صَعَقَاتُ الْحَقِّ بِالنَّقَمِ

إِنْ تَعِيسِي لِدَمٍ مِنْهُ مُرِيقٌ بِهَا
 فَقَدْ حَقَّنَا دَمَ الْإِسْلَامِ فَاذْهَبِي
 فَاقْعُذْ وَقُمْ عَالِمًا أَنْ لَوْ تَطَوَّقَهَا
 بِغَيْرِ أَحْمَدٍ لَمْ تَقْعُذْ وَلَمْ تَقُمْ
 أَقَامَ حِصْنٌ عَلَيْهِمْ حِصْنٌ مَكْرَمَةٍ
 يَرْتَجُّ طُودَاهُ بِالنِّقْمَى وَبِالنِّعَمِ
 إِذَا غَدَتْ خَيْلُهُمْ تَخْلِدِي بِهِمْ خَبِيرًا
 لِنَجْدَةٍ غَدَتْ الْأَجَالَ فِي الْخَدَمِ
 كَمْ عَرَّضُوا أَيْدِيًا بِيضًا مُكْرَمَةً
 لِلْعُدْمِ مِنْ طَوْلٍ مَا انْتَاشُوا مِنَ الْعَدَمِ
 أَسَدٌ يَرُونَ الرَّدَى الْمَفْضِي بِأَنْفُسِهِمْ
 إِلَى الثَّرَى عُمَرَا يُفْضِي إِلَى الْهَرَمِ

في الحكمة

أخا الرأي والتدبير لا تَرْكَبِ الهوى
فإن الهوى يُرْدِيكَ من حيث لا تُدْرِي
ولا تَشِقَّنْ بِالغَايَاتِ وَإِنْ وَقَتْ
وفاء الغواني بالعُهودِ من العَذْرِ

وقال:

ياذا الغنى والبخل ما لك من غنى
وكذاك ياذا المال ما لك مَالُ
أُطْلِقْ يَدِيكَ فَإِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ مَا
يُرْدِيهِمَا ووراءَ حَالِكَ حَالُ
قد تَسْلُمُ الأوكالُ وهي مواكِلُ
لثَرَهَاتٍ وتُقْتَلُ الأبطالُ
ورجالُ هذِي النَّائِبَاتِ وَإِنْ رَأَوْا
شَظْفَافاً مِنَ الأَيَامِ فَهِيَ رِجَالُ

• مصادر الدراسة ومراجعها

- المسعودي : مروج الذهب، بيروت - الدار الإسلامية .
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت - دار صادر - ١٩٦٥ م .
- السيوطي : تاريخ الخلفاء .
- ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، بيروت - دار صادر - سنة ١٩٦٦ م .
- ياقوت: معجم الأدباء، بيروت - دار إحياء التراث العربي - ج/١٧
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، بيروت - دار الثقافة - ج/٢
- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، بيروت - دار الجيل - سنة ١٩٨١ م .
- الأصفهاني: كتاب الأغاني، بيروت - دار الثقافة - سنة ١٩٧٣ م، ج/١٤
- البهائي العاملي: المخلاة، بيروت - دار المعرفة - سنة ١٩٧٩ م .

- خير الدين الزركلي : الأعلام، بيروت - دار العلم للملايين -
سنة ١٩٨٤ م .
- أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، بيروت - المكتبة
الثقافية - .
- أبو إسحاق القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت
- دار الجيل - سنة ١٩٧٢ م .
- ابن منظور: لسان العرب، بيروت - دار صادر - .
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، - ترجمة د.
عبد الحليم النجار، - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ م .
- د. مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي،
بيروت - دار العلم للملايين - سنة ١٩٨٠ م .
- د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول - دار المعارف
بمصر - .
- ديوان ديك الجن الحمصي: تحقيق: د. أحمد مطلوب
وعبد الله الجبوري - بيروت - دار الثقافة سنة ١٩٨١ م .

محتوى البحث

٣	- المقدمة
٥	- العصر والبيئة
٥	١ - عصر الشاعر
١٩	٢ - الحركة العلمية في عصر ديك الجن
٢٦	٣ - الشعر والشعراء
٣٥	- السيرة الذاتية والسيرة الأدبية
٤٩	- فنون الشعر عند ديك الجن
٥١	١ - الرثاء
٦٣	٢ - الممدح
٧٠	٣ - الهجاء
٧٦	٤ - الفخر.
٨٢	٥ - الغزل.
٩١	٦ - الشعر الخمري
٩٥	٧ - الوصف
٩٩	٨ - الحكمة
١٠٥	- لمحة عامة حول أسلوب ديك الجن.
١١١	- نماذج من شعر ديك الجن
١٣٠	- مصادر الدراسة ومراجعها

لا شك أن القارئ العربي بحاجة ماسة إلى الاطلاع على تراثه الفكري العظيم المتمثل بالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغير ذلك من ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة لا يكاد يُتاح إلا لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميزة والبصائر المتوقدة، كان لا بد لنا من تقديم هذا التراث بشكل مختصر وجامع في الوقت نفسه، بحيث يوافق هذا الإطار المقترح أكثرية القراء العرب، وخاصة طلاب المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلة عن أعلام الأدب من نثر وشعر، تولى كتابتها مجموعة من الاختصاصيين الذين تحسروا فيها السلسلة في الأسلوب والعمق في التحليل والاختصار في المعلومات، بما يحقق الهدف المنشود من إصدارها.

كما نشير إلى أننا - بالإضافة إلى هذه السلسلة التي بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء - أصدرنا، وسنصدر تبعاً إن شاء الله مجموعات أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله من وراء القصد.